

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن ينتفعا بكل الأحكام الهامة عند الحاجة إليها .. والله ولى التوفيق،،

(٢١) ما هي أعذار ترك صلاة الجماعة ..

يا رسول الله؟

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مَنْ سَمِعَ الْمُنَادِيَ (٣٠٠). فلم يَمْنَعْهُ من اتباعه عذر [قالوا: وما العذر يا رسول الله؟ قال: خوف أو مرض]: لم تُقبل منه الصلاة التي صَلَّى) [أخرجه أبو داود والدارقطني ، وفي سننه أبو جناب يحيى بن الكلبى وأبو المخارق الكوفى، وفيهما مقال] (قال) ابن المنذر (٣٠١): لا أعلم خلافاً بين أهل العلم أن للمريض أن يتخلف عن الجماعات من أجل المرض ا هـ - إذا كان المرض يشق معه الذهاب إلى المسجد - وقد تخلف النبي صلى الله عليه وسلم عنها وهو مريض، وقال: (مروا أبا بكر أن يُصَلِّيَ بالناس).

وكذلك من الأعذار: المطر الشديد، وهو ما يحمل الناس على تغطية رءوسهم . فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر مؤذناً يؤذن ثم يقول على إثره (٣٠٢): (ألا صَلُّوا في الرِّحَالِ (٣٠٣) في الليلة الباردة أو المطيرة في السفر). [أخرجه أحمد والشيخان]

ومنه يُعلم أن التقييد بالسفر في الحديث ليس للاحتراز، بل إن الاعتبار حصول المشقة.

ومثل البرد: الحر الشديد، والريح الباردة في ليلة مظلمة، وإن لم تكن شديدة عند الحنابلة والشافعية (وقالت) الحنفية: لا تكون عذراً إلا إن كانت شديدة .

(٣٠٠) أى: المؤذن .

(٣٠١) كما جاء في (الدين الخالص) ج ٣ ص ١٦١ وما بعدها .. بتصرف.

(٣٠٢) أى: عقب الأذان .

(٣٠٣) الرحال: أى المنازل .

(قال) ابن بطال: أجمع العلماء على أن التخلف عن الجماعة في شدة المطر والظلمة والريح وما أشبه ذلك مباح اهـ.

ومن الأعذار: الخوف من ظالم على نفس أو عرض أو مال، وحضور طعام تتوقه النفس ، ومدافعة البول أو الغائط ، أو الريح ، والخوف من حبس ظالم أو دائن وهو مُعسر.. وإليك بعض ما ورد في هذا:

فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا صلاة بحضرة الطعام، ولا هو يُدافعه الأخبثان) ^(٣٠٤). [أخرجه مسلم وأبو داود]

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا كان أحدكم على الطعام فلا يعجل حتى يقضى حاجته منه ، وإن أقيمت الصلاة) وكان ابن عمر يوضع له الطعام وتقام الصلاة فلا يأتيها حتى يفرغ، وإنه ليسمع قراءة الإمام .

[أخرجه البخاري]

(قال الجمهور): محله إن اتسع الوقت وإلا لزم تقديم الصلاة .

ومن الأعذار: العمى، وهو عذر إن لم يجد الأعمى قائداً ولم يهتد بنفسه، لقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ ^(٣٠٥)، فإن وجد قائداً أو اهتدى بنفسه فلا عذر له في التخلف عن الجماعة عند الجمهور، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما علم أن ابن أم مكتوم الأعمى يهتدى إلى المسجد لم يُرخص له في التأخر عن صلاة الجماعة وقد سمع النداء ..

(وقال) أبو حنيفة: يُباح للأعمى التخلف عن الجماعة وإن وجد قائداً، لأن القادر بقدرة الغير لا يُعدُّ قادراً.

وكذلك من الأعذار: القيام بأمر مريض يتضرر بغيبته .. أو كان طبيباً يباشر أحوال المرضى ولا يستطيع مفارقتهم إلا إذا كان هناك من الأطباء المتخصصين من ينوب عنه .. والله أعلم .

(٣٠٤) الأخبثان: هما البول والغائط (مختار الصحاح).

(٣٠٥) البقرة: من الآية ٢٨٦.

(هذا) ومن تخلف عن الجماعة لعذر مما سبق ونحوه - ولولاه لحضر - فله ثواب الجماعة (لحديث) أبى موسى أن النبى ﷺ قال : (إذا مرض العبدُ أو سافر كتب الله له من الأجر مثل ما كان يعمل صحيحًا مقيمًا) .

[أخرجه أحمد والبخارى وأبو داود]

وعن مكحول أن النبى ﷺ قال: (إذا مرض العبدُ يقال لصاحب الشمال: ارفع عنه القلم، ويقال لصاحب اليمين: اكتب له أحسن ما كان يعمل، ففتى أعلم به وأنا قسده). [أخرجه ابن عساکر مرسلًا]

فعلى الأخ المسلم أن يلاحظ كل هذا حتى لا يتخلف عن صلاة الجماعة إلا لعذر من تلك الأعذار ونحوها.. والله ولى التوفيق.

(٢٢) يا رسول الله ..

مُرْنِي بِعَمَلٍ يَنْفَعَنِي اللَّهُ بِهِ .

عن أبى أمامة رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله مُرْنِي بِعَمَلٍ، قال: (عليك بالصوم، فإنه لا عدل له) ^(٣٠٦) . قلتُ: يا رسول الله مُرْنِي بِعَمَلٍ؟ قال: (عليك بالصوم، فإنه لا مثل له) ^(٣٠٧) .

[رواه النسائي وابن خزيمة فى صحيحه هكذا بالتكرار وبدونه، وللحاكم وصححه]

وفى رواية للنسائي، قال: أتيت رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله مُرْنِي بِعَمَلٍ يَنْفَعَنِي اللَّهُ بِهِ؟ قال: (عليك بالصيام فإنه لا مثل له). ورواه ابن حبان فى صحيحه فى حديث: قال: قلت: يا رسول الله دلّنى على عمل أدخل به الجنة؟ قال: (عليك بالصوم، فإنه لا مثل له) . قال: فكان أبو أمامة لا يرى فى بيته الدخان ^(٣٠٨) نهارًا، إلا إذا نزل بهم ضيف .

(٣٠٦) العدل بكسر فسكون: المثل والنظير. ومعنى «عليك بالصوم» أى: الزمه وواظب عليه.

(٣٠٧) أى: فى قمع الشهوات وتربية الإرادات وتنمية الفضائل. أو لا مثل له فى كثرة الأجر.

(٣٠٨) يعنى: أنه كان يكثر من الصيام فلا يحتاج أهله إلى إيقاد نار بالنهار لطبخ أو غيره.

ففى هذا الحديث الشريف برواياته الثلاث يُرغَّبُ النَّبِيُّ ﷺ .. فى الإكثار من الصيام التطوع. ولا سيما فى هذه الأيام الآتية، وهى:

● صيام ستة أيام من شوال:

فقد روى الجماعة إلا البخارى والنسائى عن أبى أيوب الأنصارى أن النبى ﷺ قال: (مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ اتَّبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَالٍ فَكَأَنَّمَا صَامَ الدَّهْرَ). (وهذا بالنسبة لمن صام رمضان كل سنة، لأن شهر رمضان بعشرة أشهر، والستة أيام بشهرين.. قال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ (٣٠٩). مع ملاحظة: أنها عند أحمد: تُؤدَّى متتابعة وغير متتابعة، ولا فضل لأحدهما على الآخر، وعند الحنفية والشافعية: الأفضل صومها متتابعة عقب يوم عيد الفطر (٣١٠).

● صوم عشر ذى الحجة وتأكيد يوم عرفة لغير الحاج:

فعن أبى قتادة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (صوم يوم عرفة يُكفِّر سنتين ماضيةً ومستقبلةً، وصوم يوم عاشوراء يُكفِّر سنةً ماضيةً).

[رواه الجماعة إلا البخارى والترمذى]

وعن حفصة قالت: (أربع لم يَكُنْ يدعهنَّ رسول الله ﷺ: صيام عاشوراء^(٣١١)، والعشر^(٣١٢)، وثلاثة أيام من كل شهر^(٣١٣)، والركعتين قبل العِداة^(٣١٤)).

وعن عقبة بن عامر، قال: قال رسول الله ﷺ: (يوم عرفة، ويوم النحر،

(٣٠٩) الأنعام: من الآية ١٦٠.

(٣١٠) مع ملاحظة أنه يحرم أن تصوم يوم عيد الفطر.. وكذلك يوم عيد الأضحى .. وأما عن أيام التشريق وهى أيام ١١، ١٢، ١٣ من ذى الحجة فإنه منهي كذلك عن صيامها .. وقد أجاز أصحاب الشافعى أن تصوم فيها نذرًا أو قضاءً أو كفارة .. أما ما عدا هذا فلا.

(٣١١) وهو اليوم العاشر من المحرم.

(٣١٢) أى: من ذى الحجة.

(٣١٣) أى: من كل شهر عربى، وهى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر.

(٣١٤) أى: قبل صلاة الصبح .. وهما سنة الفجر.

وأيام التشريق: عيدنا أهل الإسلام، وهى أيام أكل وشرب).

[رواه الخمسة إلا ابن ماجه وصححه الترمذى]

وعن أبى هريرة قال: (نهى رسول الله ﷺ عن صوم يوم عرفة بعرفات).

[رواه أحمد وأبو داود والنسائى وابن ماجه]

قال الترمذى: قد استحَب أهل العلم صيام يوم عرفة إلا بعرفة.

وعن أم الفضل أنهم شكوا فى صوم رسول الله ﷺ يوم عرفة، فأرسلت إليه

بلبن فشرِب وهو يخطب الناس بعرفة . [متفق عليه]

● صيام المحرم وتأكيد صوم عاشوراء ويوماً قبلها ويوماً بعدها:

فعن أبى هريرة، قال: سئل رسول الله ﷺ: أى الصلاة أفضل بعد المكتوبة ؟

قال: (الصلاة فى جوف الليل) قيل: ثم أى الصيام أفضل بعد رمضان؟ قال:

(شهر الله (٣١٥) الذى تدعونه المحرم) . [رواه أحمد ومسلم وأبو داود]

وعن معاوية بن أبى سفيان قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن هذا يوم

عاشوراء، ولم يكتب عليكم صيامه، وأنا صائم، فمن شاء صام، ومن شاء

فليُفطر). [متفق عليه]

وعن عائشة قالت: كان يوم عاشوراء يوماً تصومه قريش فى الجاهلية،

وكان رسول الله ﷺ يصومه، فلما قدم المدينة صامه وأمر الناس بصيامه. فلما

فُرِضَ رمضان قال: (من شاء صامه، ومن شاء تركه). [متفق عليه]

وعن ابن عباس قال: قدم النبى ﷺ (٣١٦) فرأى اليهود تصوم عاشوراء .

فقال: (ما هذا؟) قالوا: يوم صالح نجى الله فيه موسى وبنى إسرائيل من

عدوهم فصامه موسى . فقال: (أنا أحق بموسى منكم) فصامه وأمر بصيامه.

[متفق عليه]

وعن ابن عباس قال: لما صام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء وأمر بصيامه

(٣١٥) الإضافة للتشريف: أى لتشريف الشهر.

(٣١٦) أى: قدم إلى المدينة المنورة . . مهاجراً .

قالوا: يا رسول الله، إنه يوم تُعظَّمه اليهود والنصارى، فقال: إذا كان العَامُ المقبل إن شاء الله صُمنا اليوم التاسع، قال: فلم يأت العام المقبل حتى تُوفِّي رسول الله ﷺ . [رواه مسلم وأبو داود]، وفى لفظ: قال رسول الله ﷺ: (لئن بقيتُ إلى قابل لأصومنَّ التاسع .. يعنى: يوم عاشوراء) [رواه أحمد ومسلم]

وقد ذكر العلماء أن صيام يوم عاشوراء على ثلاث مراتب (المرتبة الأولى): صوم ثلاثة أيام: التاسع والعاشر والحادى عشر (المرتبة الثانية): صوم التاسع والعاشر (المرتبة الثالثة): صوم العاشر وحده.

● صيام أكثر شعبان:

قالت عائشة: (ما رأيتُ رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر قط إلا شهر رمضان، وما رأيتُهُ فى شهر أكثر منه صياماً فى شعبان) [رواه البخارى ومسلم]

وعن أسامة قال: قلت: يا رسول الله لم أركَ تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان ؟ قال: (ذلك شهرٌ يغفل الناسُ عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر تُرفع فيه الأعمالُ إلى ربِّ العالمين، فأحبُّ أن يُرفعَ عملى وأنا صائم).

[رواه أبو داود والنسائى وصححه ابن خزيمة]

● صوم الأشهر الحرم، وهى: ذو القعدة، وذو الحجة، والحرم ، ورجب:

فعن رجل من باهلة أنه أتى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله، أنا الرجل الذى جئتكَ عام الأول، فقال: (فما غيرك وقد كنتَ حسنَ الهيئة؟) قال: ما أكلتُ طعاماً إلا لبيل منذ فارقتك. فقال رسول الله ﷺ: (لِمَ عَدَّبتَ نفسك) ثم قال: (صُم شهر الصبر ويوماً من كل شهر). قال: زدنى، فإن بى قوة. قال: (صم يومين). قال: زدنى . قال: (صُم من الحُرْم واترك. وقال بأصابعه الثلاثة فضمَّها ثم أرسلها) (٣١٧) [رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والبيهقى بسند جيد]

وصيام رجب ليس له فضل زائد على غيره من الشهور إلا أنه من الأشهر

(٣١٧) أى: أشار إليه بصيام ثلاثة أيام وفطر ثلاثة أخرى .

الحرم. ولم يرد في السنة الصحيحة أن للصيام فيه فضيلة بخصوصه، وأن ما جاء في ذلك مما لا ينتهز للاحتجاج به. قال ابن حجر: (لم يرد في فضله، ولا في صيامه، ولا في صيام شيء منه خير مُعين، ولا في قيام ليلة مخصوصة منه حديث صحيح يصلح للحجة).

وكذلك لم يرد دليل صحيح يُفيد تخصيص صوم يوم النصف من شعبان وحده.. ظناً أن له فضيلة على غيره .

اللهم إذا جاء يوم السابع والعشرين من رجب في يوم الاثنين أو الخميس.. وكان معتاداً صيامهما .. فإنه لا مانع حينئذ من صيامه .. وكذلك بالنسبة لصيام يوم النصف من شعبان .. فإنه ليس من السنة أن يصومه منفرداً.. إلا إذا صامه على أنه يوم اثنين أو يوم خميس .. أو كان ضمن الثلاثة الأيام المرغَّب في صيامها من كل شهر عربي .. وهى: الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر .. وهى المسماة بالأيام البيض .

● صيام يومي الاثنين والخميس:

فعن أبى هريرة أن النبى ﷺ كان أكثر ما يصوم الاثنين والخميس ، فقيل له - أى: سئل عن السبب فى هذا - فقال: (إن الأعمال تُعرض كل اثنين وخميس فيغفر الله لكل مسلم، أو لكل مؤمن إلا المتهاجرين، فيقول: أخرهما).

[رواه أحمد بسند صحيح]

وفى صحيح مسلم أنه ﷺ سئل عن صوم الاثنين؟ فقال: (ذاك يومٌ وُلِدْتُ فيه، وأنزلَ على فيه) .

● صيام ثلاثة أيام من كل شهر:

قال أبو ذر: (أمرنا رسول الله ﷺ أن نصوم من الشهر ثلاثة أيام البيض: ثلاث عشرة، وأربع عشرة، وخمس عشرة، وقال: هى كصوم الدهر). [رواه النسائى وصححه ابن حبان]، وجاء عنه ﷺ أنه كان يصوم من الشهر السبت والأحد والاثنين، ومن الشهر الآخر الثلاثاء والأربعاء والخميس، وأنه كان

يصوم من غرة كل هلال ثلاثة أيام، وأنه كان يصوم الخميس من أول الشهر والاثنين الذي يليه ، والاثنين الذي يليه.

● صيام يوم وفطر يوم:

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عبد الله بن عمرو قال: قال لي رسول الله ﷺ: (لقد أخبرت أنك تقوم الليل، وتصوم النهار؟) قال: قلت: يا رسول الله نعم ، قال: (فَصُمْ وَأَفْطِرْ، وَصَلِّ وَنَمْ، فَإِنْ لَجِسَدَكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنْ لَزُوجَكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنْ لَزُورِكَ (٣١٨) عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنْ بِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ) . قال: فَشَدَّدْتُ فَشَدَّدَ عَلَيَّ. قال: فقلت يا رسول الله إنى أجد قوة، قال: (فَصُمْ مِنْ كُلِّ جُمُعَةٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ) قال: فَشَدَّدْتُ فَشَدَّدَ عَلَيَّ . قال: فقلت: يا رسول الله إنى أجد قوة. قال: (صُمْ صَوْمَ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا) . [رواه أحمد وغيره]

رَوَى أَيْضًا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ، وَأَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ، كَانَ يَنَامُ نِصْفَهُ، وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ، وَكَانَ يَصُومُ يَوْمًا، وَيُفْطِرُ يَوْمًا) (٣١٩) .

فعلى الأخ المسلم.. والأخت المسلمة.. أن يلاحظا كل هذا.. حتى ينفذه.. (وذلك حتى يفوزا بثواب الصيام المشار إليه فى قول الرسول ﷺ: (ما من عبد يصوم يومًا فى سبيل الله تعالى إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفًا) (٣٢٠) [رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه]

قال النووى: وهو محمول على من لا يتضرر به ولا يُفوت به حقًا، ولا يختل قتاله ولا غيره من مهمات غزوه، ومعناه المباحة عن النار والمعافاة منها مسيرة سبعين سنة .

(٣١٨) أى: لضيفك عليك حقًا.

(٣١٩) انظر: ص ١٢٩ ج ١ (الترغيب والترهيب)، فقه السنة ج ٣ ص ٢٠٧ وما بعدها باختصار وتصرف .

(٣٢٠) (والخريف) أى السنة .

هذا مع ملاحظة أن النبي ﷺ نهى المرأة أن تصوم وزوجها حاضر حتى تستأذنه:

فعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: (لا تصُم المرأة يوماً واحداً ، وزوجها شاهدٌ إلا بإذنه ، إلا رمضان).

[رواه أحمد والبخارى ومسلم] (وقد) حمل العلماء هذا النهى على التحريم، وأجازوا للزوج أن يُفسد صيام زوجته لو صامت دون أن يأذن لها.. وهذا فى غير رمضان كما جاء فى الحديث، فإنه لا يحتاج إلى إذن من الزوج . وكذلك لها أن تصوم من غير إذنه إذا كان غائباً، فإذا قدم - أى من سفره - له أن يُفسد صيامها، وجعلوا مرض الزوج وعجزه عن مباشرتها مثل غيبته عنها فى جواز صومها دون أن تستأذنه.

أسأل الله تعالى أن ينفعنا بهذا العلم النافع .. اللهم آمين.

(٢٣) أى ساعة .. هى ساعة الإجابة فى يوم الجمعة

يا رسول الله؟

عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: قلتُ ورسول الله ﷺ جالس: إننا لنجد فى كتاب الله تعالى فى يوم الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يُصلى يسأل الله عز وجل فيها شيئاً إلا قضى له حاجته . قال عبد الله: فأشار إلى رسول الله ﷺ، (أو بعض ساعة)، فقلت: صدقت، أو بعض ساعة. قلت: أى ساعة هى؟ قال: (آخر ساعة من ساعات النهار) قلت: إنها ليست ساعة صلاة. قال: (بلى ، إن العبد المؤمن إذا صلى ثم جلس لا يجلسه إلا الصلاة ، فهو فى صلاة).

[رواه ابن ماجه]

وعن أبى سعيد وأبى هريرة رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : (إن فى الجمعة ساعة لا يوافقها عبدٌ مسلم يسأل الله عز وجل فيها خيراً إلا أعطاه إياه، وهى بعد العصر).

[رواه أحمد . قال العراقى: صحيح]

وعن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (يَوْمُ الْجُمُعَةِ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَاعَةً، مِنْهَا

ساعة لا يوجد عبد مسلم يسأل الله تعالى (٣٢١) شيئاً إلا آتاه إياه،
والتمسوها آخر ساعة بعد العصر). [رواه النسائي وأبو داود والحاكم في
المستدرک، وقال: صحيح على شرط مسلم، وحسن الحافظ إسناده في الفتح].

وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن رضي الله عنه: (أن ناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
اجتمعوا فتذكروا الساعة التي في يوم الجمعة، فتفرقوا ولم يختلفوا أنها
آخر ساعة من يوم الجمعة). [رواه سعيد في سننه وصححه الحافظ في الفتح]
ثم بعد ذلك يقول (في: فقه السنة) بعد ذكر كل هذه الأحاديث السابقة التي
قبلها: وينبغي الاجتهاد في الدعاء عند آخر ساعة من يوم الجمعة -: وقال أحمد
ابن حنبل: أكثر الأحاديث في الساعة التي يرجى فيها إجابة الدعاء أنها بعد
صلاة العصر، ويرجى بعد زوال الشمس.

وعلى هذا ، فإنه يُستحب في يوم الجمعة بصفة عامة .. وفي هذا الوقت
المشار إليه في الأحاديث بصفة خاصة: الإكثار من الذكر والدعاء بطلب الخير
لنا ولأهلينا وأمتنا المحمدية .. عسى أن يستجيب الله لنا .. هذا بالإضافة إلى أن
ذكر الله تعالى هو طبُّ القلوب ودواؤها، وعافية الأبدان وشفائها .. والله تعالى
يقول: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (٣٢٢). كما يقول: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا
وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٣٢٣).

وكذلك يُستحب أن يُكثِر المسلم من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة الجمعة
ويومها.

فعن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أفضل أيامكم يوم الجمعة،
فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثرُوا على من
الصلاة فيه، فإنَّ صلاتكم معروضة عليّ) قالوا: يا رسول الله، وكيف تُعرضُ

(٣٢١) أى: فيها .

(٣٢٢) الرعد: من الآية ٢٨ .

(٣٢٣) الأحزاب: من الآية ٣٥ .

عليك صلاتنا، وقد أرمّت^(٣٢٤)؛ فقال: (إن الله عز وجل حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء) .
[رواه أحمد ومسلم]

قال ابن القيم: (يستحب كثرة الصلاة على النبي ﷺ في يوم الجمعة وليلته، لقوله (أَكثِرُوا مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَلَيْلَةِ الْجُمُعَةِ). ورسول الله ﷺ سيّد الأنام، ويوم الجمعة سيّد الأيام، فللصلاة عليه في هذا اليوم مزيةٌ، ليست لغيره، مع حكمة أخرى، وهي أن كل خير نالته أمته في الدنيا والآخرة، فإنها نالته على يده، فجمع الله لامته بين خيري الدنيا والآخرة، فأعظم كرامة تحصل لهم، فإنما تحصل يوم الجمعة، فإن فيه بعثهم إلى منازلهم وقصورهم في الجنة، وهو يوم المزيد لهم إذا دخلوا الجنة، وهو عيد لهم في الدنيا، ويوم يسعفهم الله تعالى بطلباتهم وحوائجهم، ولا يرد سائلهم، وهذا كله إنما عرفوه وحصل لهم بسببه، وعلى يده، فمن شكره وحمده، وأداء القليل من حقه ﷺ: أن يُكثروا من الصلاة عليه في هذا اليوم وليلته) (٣٢٥) هـ .

(والحاصل) أن الصلاة على النبي ﷺ في جميع الأوقات من أجلّ الطاعات، والإكثار منها لاسيما يوم الجمعة وليلة الجمعة من أعظم العبادات، والأحاديث الدالة على ذلك أكثر من أن تُحصى.

فعلى الأخ المسلم.. والأخت المسلمة.. أن يلاحظا كل هذا وينفذاه. . مع الحرص على الدعاء والإكثار منه .. ولاسيما في هذا الوقت المشار إليه في الأحاديث السابقة .. والله ولي التوفيق.

(٢٤) هل يجوز .. أن أصوم الدهر يا رسول الله؟

عن عُبيد الله بن مسلم القرشي عن أبيه قال: سألتُ أو سئلتُ النبي ﷺ عن صيام الدهر؟ فقال: (لا ، إن لاهلك عليك حقا ، صم رمضان والذي يليه ،

(٣٢٤) أي: بليت .

(٣٢٥) انظر: زاد المعاد ج ١ ص ١٠ الطبعة المصرية .

وَكُلُّ أَرْبَعَاءٍ وَخَمِيسٍ، فَإِذَنْ أَنْتَ قَدْ صُمْتَ الدَّهْرَ وَأَفْطَرْتَ).

[رواه أبو داود والنسائي والترمذى، وقال: حديث حسن غريب]

فمعنى قوله ﷺ: (لا) يُفيد بأنه لا يجوز، أو لا يُحمد، وهو - أيضاً - دليل على كراهته أو حُرْمته.

ومعنى قوله: (إن لأهلك حقاً): يفيد التعليل لكراهة صوم الدهر، فإنه يؤدي إلى الضعف عن القيام بواجبات الزوجية.

ومعنى قوله: (صُمُّ رمضان والذي يليه)، أى: صُمُّ شوال كَلَّه، أو سَمَّا منه لِيَتَّفِقَ مع بقية الأحاديث .

ومعنى قوله: (وَكُلُّ أَرْبَعَاءٍ وَخَمِيسٍ): يدل على أن المقصود هو صيامها من كل أسبوع، وقوله: (فإذن أنت قد صُمْتَ الدهرَ وأفطَرْتَ) أى: إذا فعلت ذلك تكون قد حَقَّقْتَ ما تصبو إليه من صوم الدهر، وانتفعت بالإفطار (٣٢٦).

وقد قرأتُ فى (فقه السنة) (٣٢٧)، تحت عنوان: (النهى عن صيام الدهر) ما نصه: يحرم صيامُ السَّنَةِ كلها، بما فيها الأيام التى نهى الشارع عن صيامها، لقول الرسول ﷺ: (لا صَامَ من صَامَ الأبد). رواه أحمد والبخارى ومسلم، فإن أفطر يومى العيد (٣٢٨) وأيام التشريق، وصام بقية الأيام انتقت الكراهة إذا كان ممن يَقْوَى على صيامها، قال الترمذى: وقد كره قوم من أهل العلم صيام الدهر إذا لم يفطر يوم الفطر ويوم الأضحى وأيام التشريق.. فمن أفطر فى هذه الأيام فقد خرج من حد الكراهة، ولا يكون قد صام الدهر كله، هكذا روى عن مالك والشافعى وأحمد وإسحاق.

وقد أقر النبى ﷺ حمزة الأسلمى على سرد الصيام، وقال له: (صُمُّ إن شئتُ وأفطر إن شئتُ). والأفضل أن يصوم يوماً ويفطر يوماً، فإن ذلك أحب الصيام إلى الله، وهو صيام سيدنا داود عليه السلام.

(٣٢٦) انظر: ص ١٩٦ وما بعدها. من (الترغيب والترهيب) ج ٢ مع الهامش بتصريف كبير .

(٣٢٧) انظر: فقه السنة ج ٣ ص ٢٠٥ بتصريف .

(٣٢٨) أى: يوم عيد الفطر، ويوم عيد الأضحى.

هذا، وإذا كنا قد علمنا من خلال ما سبق أن هناك أياماً نهى الشارع الحكيم عن صيامها.. فإننى أرى أنه من الخير أن يقف الأخ المسلم عليها .. وهى (٣٢٩):

١- صيام يومى العيدين (٣٣٠):

فقد أجمع العلماء على تحريم صوم يومى العيدين، سواء أكان فرضاً أم تطوعاً، لقول عمر رضي الله عنه: (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن صيام هذين اليومين .. أما يوم الفطر ففطركم من صومكم (٣٣١)، وأما يوم الأضحى فكلوا من نسككم) (٣٣٢). [رواه أحمد والأربعة]

٢- صوم أيام التشريق:

فإنه لا يجوز صيام الأيام الثلاثة التى تلى عيد النحر، لما رواه أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبدالله بن حذافة يطوف فى منى: (أَنْ لَا تَصُومُوا هَذِهِ الْأَيَّامَ، فَإِنَّهَا أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ وَذِكْرٍ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ) [رواه أحمد بإسناد جيد] وروى الطبرانى فى الأوسط عن ابن عباس: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَرْسَلَ صَائِحًا يَصِيحُ أَنْ لَا تَصُومُوا هَذِهِ الْأَيَّامَ، فَإِنَّهَا أَيَّامُ أَكْلٍ، وَشُرْبٍ، وَبِعَالٍ) (٣٣٣). وقد أجاز أصحاب الشافعى: صيام أيام التشريق فيما له سبب من نذر، أو كفارة، أو قضاء، أما ما لا سبب له فلا يجوز فيها بلا خلاف، وجعلوا هذا نظير الصلاة التى لها سبب فى الأوقات المنهى عن الصلاة فيها.

٣ - صيام يوم الجمعة منفرداً:

لأن يوم الجمعة عيد أسبوعى للمسلمين، ولذلك نهى الشارع عن صيامه، وذهب الجمهور إلى أن النهى للكرامة (٣٣٤) لا للتحريم، إلا إذا صام يوماً قبله،

(٣٢٩) كما جاء فى (فقه السنة) ج ٣ ص ٢٠٠ وما بعدها.

(٣٣٠) عيد الفطر، وعيد الأضحى .

(٣٣١) أى: النظر من صيام رمضان.

(٣٣٢) أى: الأضحى .

(٣٣٣) أى: وطء الرجل زوجته .

(٣٣٤) وعن أبى حنيفة ومالك: لا يكره، والأدلة المذكورة حجة عليهما .

أو يوماً بعده ، أو وافق عادة له ، أو كان يوم عرفة أو عاشوراء ، فإنه حينئذ لا يكره صيامه، فعن عبدالله بن عمرو أن رسول الله ﷺ دخل على جويرية بنت الحارث وهي صائمة في يوم جمعة فقال لها: (أصمتِ أمس؟) فقالت: لا، قال: (أتريدين أن تصومي غداً؟) قالت: لا . قال: (فأفطري إذن).

[رواه أحمد والنسائي بسند جيد]

وعن عامر الأشعري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن يوم الجمعة عيدكم، فلا تصوموه إلا أن تصوموا قبله أو بعده) [رواه البزار بسند حسن] وقال على: من كان منكم متطوعاً فليصم يوم الخميس، ولا يصم يوم الجمعة فإنه يوم طعام وشراب وذكر. [رواه ابن أبي شيبة بسند حسن] وفى الصحيحين من حديث جابر أن النبي ﷺ قال: (لا تصوموا يوم الجمعة إلا وقبلة يوم أو بعده يوم) وفى لفظ لمسلم: (ولا تخصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي، ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام، إلا أن يكون فى صوم يصومه أحدكم) (٣٣٥).

قال الشوكانى: (وقد اختلف فى سبب كراهة أفراد يوم الجمعة بالصيام على أقوال ذكرها صاحب الفتح منها لكونه عيداً ، ويدل على ذلك رواية أحمد المذكورة فى الباب، ومنها: لئلا يضعف عن العبادة، ومنها: خوف المبالغة فى تعظيمه فيفتن به كما افتتن اليهود بالسبت، ومنها: خشية أن يفرض عليهم كما خشى ﷺ من قيام الليل ذلك..) إلى أن قال: (وأقوى الأقوال وأولاهها بالصواب الأول لما تقدم من حديث أبى هريرة وقد أخرجه الحاكم أيضاً) اهـ (٣٣٦)

٤ - أفراد يوم السبت بصيام:

فعن بسر السلمى عن أخته الصماء أن رسول الله ﷺ قال: (لا تصوموا يوم

(٣٣٥) يعنى: إلا أن يدخل فى صيام نذر أو كفارة أو نحوهما.

(٣٣٦) انظر: ص ١٩٨ الترغيب والترهيب ج ٢ هامش بتصرف.

السبتِ إلا فيما افترضَ عليكم (٣٣٧) وإن لم يجد أحدكم إلا لحياء (٣٣٨) عنب أو عود شجرة فليمضغه) [رواه أحمد وأصحاب السنن والحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم وحسنه الترمذى وقال: ومعنى الكراهة فى هذا أن يختص الرجل يوم السبت بصيام لأن اليهود يُعظّمون يوم السبت]

وقالت أم سلمة: (كان النبى ﷺ يصوم يوم السبت ويوم الأحد أكثر مما يصوم من الأيام، ويقول: إنهما عيد المشركين، فإنا أحب أن أخالفهم) [رواه أحمد والبيهقى والحاكم وابن خزيمة وصحاه]. ومذهب الأحناف والشافعية والحنابلة كراهة الصوم يوم السبت منفرداً لهذه الأدلة، وخالف فى ذلك مالك فجوز صيامه منفرداً بلا كراهة، والحديث حجة عليه.

٥ - صوم يوم الشك:

قال عمار بن ياسر: (من صام اليوم الذى شكَّ فيه فقد عصى أبا القاسم ﷺ) رواه أصحاب السنن . وقال الترمذى: حديث حسن صحيح، والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم، وبه يقول سفيان الثورى ومالك بن أنس، وعبدالله بن المبارك والشافعية وأحمد وإسحاق: كرهوا أن يصوم الرجل اليوم الذى يُشكُّ فيه، ورأى أكثرهم إن صامه وكان من شهر رمضان أن يقضى يوماً مكانه (٣٣٩)

فإن صامه لموافقته عادةً له جاز له الصيام حينئذ دون كراهة، فعن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: (لا تَقْدَمُوا) (٣٤٠) صوم رمضان بيوم ولا يومين، إلا أن يكون صوم يصومه رجل، فليصم ذلك اليوم) [رواه الجماعة]. وقال الترمذى: حسن صحيح. والعمل على هذا عند أهل العلم: كرهوا أن يتعجل الرجل بصيام قبل دخول رمضان لمعنى رمضان، وإن كان رجل يصوم صوماً، فوافق صيامه ذلك، فلا بأس به عندهم] (٣٤١).

(٣٣٧) ويشمل القضاء والنذور إلا إذا وافق عاداته أو كان يوم عرفة .. ونحو ذلك .

(٣٣٨) أى: قشر .

(٣٣٩) وعند الحنفية: إن ظهر أنه من رمضان وصامه أجزاء عنه .

(٣٤٠) أى: لا تتقدموا .

(٣٤١) انظر: فقه السنة ج ٣ ص ٢٠٤ بتصرف .

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا .. وينفذا المراد منه .. وأن يجتنبا المنهى عنه .. والله ولى التوفيق؟

(٢٥) ماذا أفعل يا رسول الله إذا مرَّ أهامى وأنا أصلى آدمى أو بهيمة بعد أن وضعتُ أهامى شيئاً يسترنى من الناس . . ؟

عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: (إذا صلى أحدكم إلى شيء يستره من الناس، فأراد أحد أن يجتاز بين يديه فليدفعه، فإن أبى فليقاتله^(٣٤٢) فإنما هو شيطان)^(٣٤٣) [أخرجه أحمد والشيخان والنسائى وأبو داود] وعن سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال قال: بينا أنا وصاحب لى نتذاكر حديثاً إذ قال أبو صالح السمان: أنا أحدثك ما سمعتُ من أبى سعيد الخدرى ورأيتُ منه قال: بينما أنا مع أبى سعيد نصلى يوم الجمعة إلى شيء يستره من الناس إذ دخل شاب من بنى مُعَيْط^(٣٤٤) أراد أن يجتاز بين يديه فدفع نحره، فنظر فلم ير مساعماً إلا بين يدي أبى سعيد، فأعاد فدفعه فى نحره أشد من الدفعة الأولى، فمَثَل^(٣٤٥) قائماً ونال من أبى سعيد، ثم زاحم الناس فدخل على مروان فشكا إليه ما لقى، ودخل أبو سعيد على مروان، فقال: ما لك ولا بن أخيك جاء يشكوك؟ فقال أبو سعيد: سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول: (إذا صلى أحدكم إلى شيء يستره من الناس، فأراد أحد أن يجتاز بين يديه فليدفعه، فإن أبى فليقاتله، فإنما هو شيطان). [أخرجه الشيخان وابن ماجه والبيهقى]

فقد دلَّ الحديثان^(٣٤٦) على أنه لا يجوز دفع المارِّ إلا لمن اتخذ سترة، ومثله

(٣٤٢) المراد بالمقاتلة الدفع بالأشد، فى رواية البخارى: (فإن أبى فليجعل يده فى صدره وليدفعه).

(٣٤٣) أى: يفعل فعل الشيطان، وإطلاق الشيطان على المخالف شائع فى القرآن والسنة.

(٣٤٤) الشاب، هو الوليد بن عتبة بن أبى مُعَيْط: بضم مُعَيْط: بضم مفتوح تصغير أمعط، وهو من لا شعر له.

(٣٤٥) مثل: من باب قعد، أى انتصب.

(٣٤٦) كما جاء فى الجزء الثانى من الدين الخالص ص ٩ وما بعدها .. بتصرف.

من صَلَّى في مكان يَأْمَنُ فيه المرور بين يديه . (أما) من لم يتخذ سترة أو اتخذها وتباعد عنها؛ فلا يجب عليه دفع المار لتقصيره، ولا يحرم حينئذ المرور بين يديه لكن يُكره، (وظاهر الأمر): وجوب الدفع وبه قال أهل الظاهر، وحمله الجمهور على الندب. (قال النووي): الأمر بالدفع أمر ندب متأكد اهـ .

ثم يقول بعد ذلك في (الدين الخالص):

والدفع يكون باليد إن كان قريباً منه، لقوله في الحديث الثاني: فدفعه في نحره وبالإشارة أو التسميع للبعيد، وليس له الانتقال من موضعه انتقالاً يُؤدِّي إلى بطلان الصلاة. (ويُطلب) دفع المار ولو صبيك، وإذا مرَّ لا يردّه ثانيًا لئلا يصير مرورًا ثانيًا. (لحديث): محمد بن قيس قاضي عمر بن عبد العزيز عن أبيه عن أم سلمة رضي، قالت: كان النبي صلى في حجرة أم سلمة فمر بين يديه عبد الله أو عمر بن أبي سلمة، فقال بيده ^(٣٤٧) فرجع، فمرت زينب بنت أم سلمة فقال بيده هكذا فمضت. فلما صَلَّى رسول الله صلى قال: (هُنَّ تَغْلَبُ) ^(٣٤٨) [أخرجه ابن ماجه، وأخرجه أحمد من طريق محمد بن قيس عن أمه. وكل من أبيه وأمه لا يعرف].

وفى قوله (فإن أبي فليقاتله): دليل على أنه يُطلب الدفع أولاً بالأسهل، ثم ينتقل إلى الأشد فالأشد، وإن أدَّى إلى قتله فلا شيء عليه عند الجمهور (قال القاضى عياض): وأجمعوا على أنه لا يلزم مقاتلته بالسلاح ولا بما يؤدي إلى هلاكه، فإن دفعه بما يجوز فهلك فلا قود عليه اتفاقاً. اهـ . وكذا لا دية له عند الحنفية والشافعية والحنابلة، وهو قول مالك (وقال) ابن شعبان: عليه الدية في ماله، وقيل: على عاقلته.

(وهذا) كله يشير إلى جُرم هذا الفعل وهو المرور بين يدي المصلى الذي وضع شيئاً يستره أمامه .. (لقول) ابن مسعود رضي: إن المرور بين يدي المصلى يقطع نصف صلاته. أخرجه ابن أبي شيبة (ولقول) عمر رضي: لو يعلم المصلى

(٣٤٧) أي: أشار.

(٣٤٨) هُنَّ أَغْلَبُ: أي أكثر ارتكاباً للمخالفة والمعصية.

ما ينقص من صلاته بالمرور بين يديه لما صَلَّى إلا إلى شيء يستره من الناس.
[أخرجه أبو نعيم]

(فهذان) الأثران: يدلان على أن الدفع لجبر خلل يقع في صلاة المصلي وهما وإن كانا موقوفين فهما في حكم المرفوع، لأن مثلهما لا يقال من قبل الرأي (قال) القاضي عياض: ينبغي أن يحمل نقص الصلاة على مَنْ أمكنه الرد فلم يفعله. أما إذا لم يمكنه الرد فصلاته تامة، لأنه لم يوجد منه ما ينقصها ولا يؤثر فيها ذنب غيره اهـ.

وعلى هذا، فإنه ينبغي على الأخ الذي يريد الصلاة أن يتخذ سترة .. حتى لا يتعرض لمثل هذا المشار إليه أعلاه .. (ويستحب) أن تكون السترة عن يمين المصلي أو يساره، وهذا هو الأوّل عند الشافعية، وأن يقرب منها على نحو ثلاثة أذرع من ابتداء قدميه (لحديث) بلال رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة فترك عمودين عن يمينه، وعموداً عن يساره، وثلاثة أعمدة خلفه، ثم صلى وبينه وبين القبلة ثلاثة أذرع. [أخرجه أحمد والبخاري والنسائي] (ولا ينافيه) حديث سهل ابن سعد، قال: كان بين مقام النبي صلى الله عليه وسلم وبين القبلة ممر عنز. أخرجه الشيخان وأبو داود وكذا البيهقي بلفظ: كان بين مصلى النبي صلى الله عليه وسلم وبين الجدار ممر شاة . (لأن هذا) محمول على حالة السجود، وحديث بلال محمول على حالة القيام.

(قال) البغوي: يُستحب الدنو من السترة بحيث يكون بينه وبينها قدر مكان السجود، وكذلك بين الصفوف اهـ . (والحكمة) في اتخاذ السترة كَفُّ البصر عما وراءها، ومنع من يمر أمام المصلي .

(وإذا تعذر) إقامة السترة وتثبيتها بالأرض لصلابتها، وضعها عرضاً عند أحمد، وروى عن أبي يوسف: أنها توضع طولاً كأنها غرزت ثم سقطت، واختاره الفقيه أبو جعفر .

(وإن لم يجد) ما ينصبه سترة، أو يضعه أمامه: فليخطُ بالأرض خطاً (لحديث) أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا صَلَّى أحدكم فليجعل تلقاء

وجهه (٣٤٩) شيئاً، فإن لم يجد فليَنصِبُ عصاً ، فإن لم يكن معه عصاً، فليخُطُ خطأً ، ثم لا يضره ما مرَّ أمامه).

[أخرجه أحمد وابن حبان وصحاحه، وأبو داود وابن ماجه والبيهقى وصححه ابن المدينى] وبهذا قال أحمد وأبو إسحاق الشيرازى وأكثر الشافعية وبعض الحنفيين، وهو قول الشافعى فى القديم .

مع ملاحظة: أنه يجوز الاستتار بالحيوان إذا كان مستقراً ولو آدمياً مسلماً .. (لحديث) ابن عمر أن النبى ﷺ كان يصلى إلى بعيره. [أخرجه الشيخان وأبو داود والترمذى]

(ولحديث) أم سلمة قالت: كان يفرش لى حىال (٣٥٠) مسجد رسول الله ﷺ، وكان يصلى وأنا حىاله. [أخرجه أحمد والطحاوى بسند رجاله رجال الصحيح] (ولحديث) على ؓ قال: كان رسول الله ﷺ يُسبِّحُ من الليل (٣٥١) وعائشة معترضة بينه وبين القبلة. [أخرجه أحمد بسند رجاله ثقات]

ويحرم المرور بلا عذر بين يدي المصلى ولو لم يتخذ سترة (لحديث) زيد بن خالد الجهنى أن النبى ﷺ قال: (لو يعلم المارُّ بين يدي المصلى ماذا عليه، كان لأنْ يقومَ أربعين خيراً خيرَ له من أن يمر بين يديه) .

[أخرجه البزار بسند رجاله رجال الصحيح]

وذكر الأربعين: لا مفهوم له، بل الغرض المبالغة فى تعظيم الأمر .. والتنفير منه .. كما ورد فى عدة أحاديث.. (منها) حديث ابن عمرو أن النبى ﷺ قال: (الذى يمرُّ بين يدي المصلى عمداً يتمنى يومَ القيامة أنه شجرة يابسة) [أخرجه الطبرانى فى الكبير والاوسط] .. (وقول) ابن عمر: لأن يكون رَماداً يُدرى خير له من أن يمر بين يدي رجل متعمداً وهو يصلى .

[أخرجه ابن عبد البر فى التمهيد]

(٣٤٩) تلقاء وجهه، يعنى أمامه مانلاً عنه يميناً أو يساراً، جمعاً بين الروايات .

(٣٥٠) حىال مسجد الخ أى تلقاء محل سجوده، وفى رواية الطحاوى: حىال مصلى الخ .

(٣٥١) يُسبِّحُ بالتشديد، أى: يصلى تطوعاً .

قال فى الدين الخالص (٣٥٢) .. بعد ذكر كل هذه الأدلة:

فهذه الأدلة صريحة فى حرمة المرور أمام المصلى وإن لم يتخذ ستره، وأنه من الكبائر، لا فرق فى ذلك بين صلاة الفرض والنفل. وبهذا قال الجمهور.

وما تقدم من طلب السترة إنما هو فى غير المسجد الحرام، أما المسجد الحرام فيجوز فيه ترك اتخاذ السترة ولاسيما فى محل الطواف، وحينئذ يجوز المرور أمام المصلى وإن اتخذ ستره.

(والحكمة) فى الترخيص فى ترك السترة بالمسجد الحرام: إزدحام الناس فيه وكثرة الطائفين به، فلو منع المزور بين يدي المصلى لكان فيه حرج ومشقة، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (٣٥٣).

أسأل الله تعالى أن ينفعنا بكل هذا التذكير الفقهى الهام ..
اللهم آمين.

(٢٦) هل من البرِّ أن نصوم فى السفر .. يا رسول الله؟

عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج عام الفتح إلى مكة فى رمضان حتى بلغ كُراع الغميم (٣٥٤)، فصام وصام الناس، ثم دعا بقدر من ماء (٣٥٥) فرفعه حتى نظر للناس إليه، ثم شرب، ففعل له بعد ذلك: إن بعض الناس قد صام، فقال: (أولئك العصاة) (٣٥٦). وفى رواية، ففعل له: إن بعض الناس قد صام، فقال: (أولئك العصاة، أولئك العصاة) وفى رواية، ففعل له: إن بعض الناس

(٣٥٢) ج ٣ ص ٨ وما قبلها وما بعدها بتصرف واختصار.

(٣٥٣) الحج: من الآية ٧٨.

(٣٥٤) الغميم بفتح الغين المعجمة وكسر الميم: واد بين مكة والمدينة بينه وبين مكة نحو مرحلتين.

(٣٥٥) وهو الإناء الذى يشرب فيه ولا يقال يفتح إلا إذا كان فارغاً، فإذا كان فيه شراب قبل كأس.

(٣٥٦) رواه مسلم والنسائي والترمذى وصححه وأخرج نحوه البخارى فى المغازى.

قد شقَّ عليهم الصيام، وإنما ينظرون فيما فعلتَ، فدعا بقدرح من ماء بعد العصر الحديث. [رواه مسلم]

(والأحاديث) في هذا المعنى كثيرة يُقوَّى بعضها بعضًا. وهى دليل على أنه يجوز للمسافر أن يفطر بعد أن نوى الصيام من الليل، وهو قول الجمهور.. (قال) فى الفتح: وهذا كله فيما لو نوى الصوم فى السفر، فأما لو نوى الصوم وهو مقيم ثم سافر فى أثناء النهار فهل له أن يفطر فى ذلك النهار أم لا ؟ منعه الجمهور وقال أحمد وإسحاق بالجواز واختاره المزنى، وهو الحق الذى تشهد له الأحاديث.

وقوله فى الحديث: (أولئك العصاة) استدل به من قال بأن الفطر فى السفر واجب، وكذلك من قال بأنه أفضل، ومحل ذلك فيما لو شقَّ عليه الصوم، وعليه حُمل قوله عليه الصلاة والسلام: (ليس من البرِّ الصيامُ فى السفرِ)، وإنما سماهم عَصاة مع أنهم ما أرادوا إلا الخير لعدم قبولهم الرخصة ورغبتهم عن هديه ﷺ .

وعن جابر - أيضًا - رَوَى قال: كان النبى ﷺ فى سفر فرأى رجلاً قد اجتمع الناس عليه وقد ظلَّ عليه (٣٥٧)، فقال: (ما له ؟) قالوا: رجل صائم، فقال رسول الله ﷺ: (ليس البرُّ (٣٥٨) أن تصوموا فى السفر) (٣٥٩) وفى رواية: (وعليكم برخصة الله التى رخص لكم) (٣٦٠) وفى رواية: (ليس من البرِّ الصومُ فى السفر) (٣٦١) [رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى]

(٣٥٧) يعنى: أنهم وضعوا على رأسه مظلة تقيه من حر الشمس.

(٣٥٨) وفى رواية (ليس من البرِّ) والبر هو كل طاعة أو عمل خير .

(٣٥٩) قال الشوكاتى: (قد أشار البخارى إلى أن السبب فى قوله ﷺ هذه المقالة هو ما ذكر من المشقة التى حصلت للرجل الذى ظلَّ عليه، وفى ذلك دليل على أن الصيام فى السفر لمن كان يشق عليه ليس بفضيلة) .

(٣٦٠) والرخصة هى ما شرع ثباتاً مبيحاً على أعداء العباد.

(٣٦١) نعى البر هنا لا يستلزم عدم صحة الصوم فى السفر . . . قال الطحاوى: والمراد بالبر هنا البر الكامل الذى هو أعلى المراتب .

وفى رواية للنسائي: أن رسول الله ﷺ مرَّ على رجل فى ظلِّ شجرة يُرشُّ عليه الماء (٣٦٢)، قال (ما بال صاحبكم؟) قالوا: يا رسول الله، صائم، قال: (إنه ليس من البرِّ أن تصوموا فى السفر، وعليكم برُخصةِ الله عز وجلَّ التى رخص لكم فاقبلوها) .

ومعنى قوله ﷺ فى الحديث الأخير والذى قبله: (وعليكم) أى الزموا، وهذا يدل على وجوب الفطر فى السفر، وقد اختلف السلف فى هذه المسألة، أعنى صوم رمضان فى السفر، فقالت طائفة: لا يُجزئ الصوم فى السفر عن الفرض، بل من صام فى السفر وجب عليه قضاؤه فى الحضْر، وهو قول بعض الظاهرية، وحكاه فى البحر عن الإمامية.

قال فى الفتح: وحكى عن عمر وابن عمر وأبى هريرة والزهرى وإبراهيم النخعى وغيرهم. واحتجوا بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ (٥). قالوا: لأن ظاهر قوله (فَعِدَّةٌ) أى: فالواجب عليه (عدة) وتأوله الجمهور بأن التقدير فأفطر فَعِدَّةٌ .

واحتج هؤلاء أيضاً بما فى حديث ابن عباس أن النبى ﷺ أفطر فى السفر، وكان هذا آخر الأمرين منه، فزعموا أن صومه فى السفر منسوخ، وأجاب الجمهور عن ذلك بأن هذه الزيادة مدرجة من قول الزهرى، كما جزم بذلك البخارى فى الجهاد، وبأن النبى ﷺ صام بعد هذه القصة (٣٦٣).

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا وينفذاه مع ضرورة استعمال الرخصة.. حتى لا نكون من العصاة - والعياذ بالله .. والله ولى التوفيق،،

(٣٦٢) لتبريده وكسر الحرارة عنه .

(٥) البقرة: آية ١٨٤ .

(٣٦٣) انظر: ص ٢٠٨ وما بعدها .. من (الترغيب والترهيب) ج ٢ مع الهامش بتصريف .

(٢٧) يا رسول الله .. أجد منى قوّة على الصوم فى الفِرِّ .. فهل علىّ جناحٌ؟

قال حمزة الأَسْلَمِيُّ رضي الله عنه: يا رسول الله، أجد منى قوّة على الصوم فى السفر، فهل علىّ جناحٌ؟ فقال صلوات الله وسلامه عليه: (هى رُخصة من الله تعالى ، فَمَنْ أَخَذَ بِهَا فَحَسَنٌ ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصُومَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ) ^(٣٦٤) [رواه مسلم]

ولكى نفهم المراد من هذه الفتوى فإنه ينبغي علينا أن نعلم أن الرخصة أساساً ما شرعت إلا من أجل المشار إليهم فى قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ ^(٣٦٥)، وفى حديث معاذ بن جبل الذى رواه أحمد وأبو داود والبيهقى يقول: إن الله تعالى فرض على النبى صلى الله عليه وآله الصيام، فأنزل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ ^(٥) إلى قوله: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ ^(٥٥) فكان من شاء صام ، ومن شاء أطعم مسكيناً، فأجزأ ذلك عنه . ثم إن الله أنزل الآية الأخرى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ ^(٣٦٦) فأثبت صيامه على المقيم الصحيح ، ورخص فيه للمريض والمسافر ، وثبت الإطعام للكبير الذى لا يستطيع الصيام .

قال فى فقه السنة: والمرض المبيح للفطر هو الشديد الذى يزيد بالصوم أو يُخشى تأخر بُرئه ^(٣٦٧)، قال فى المغنى: (وحكى عن بعض السلف: أنه أباح

(٣٦٤) أى: إثم .

(٣٦٥) البقرة من الآية ١٨٤ .

(٥) البقرة من الآية: ١٨٣ .

(٥٥) البقرة من الآية: ١٨٤ .

(٣٦٦) البقرة من الآية: ١٨٥ .

(٣٦٧) يعرف ذلك إما بالتجربة أو بإخبار الطبيب الثقة، أو بغلبة الظن .

الفطر بكل مرض ، حتى من وجع الضرس لعموم الآية فيه ، ولأن المسافر يُباح له الفطر، وإن لم يحتاج إليه فكذلك المريض)، ثم يقول: وهذا مذهب البخارى وعطاء وأهل الظاهر .

والصحيح الذى يخاف المرض بالصيام يُفطر مثل المريض، وكذلك من غلبه الجوع أو العطش فخاف الهلاك لزمه الفطر وإن كان صحيحاً مُقيماً وعليه القضاء، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (٣٦٨) وقال: ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (٣٦٩)

ثم يقول: وإذا صام المريض وتحمل المشقة: صحَّ صومه، إلا أنه يكره له ذلك لإعراضه عن الرخصة التى يحبها الله (٣٧٠) وقد يلحقه بذلك ضرر.

وقد كان بعض الصحابة يصوم على عهد رسول الله ﷺ وبعضهم يفطر متابعين فى ذلك فتوى الرسول ﷺ - التى تدور حولها - (٣٧١)

وعن أبى سعيد قال: سافرنا مع رسول الله ﷺ إلى مكة - ونحن صيام - قال: فنزلنا منزلاً، فقال رسول الله ﷺ: (إِنَّكُمْ قَدْ دَنَوْتُمْ مِنْ عَدْوِكُمْ وَالْفِطْرِ أَقْوَى لَكُمْ، فَكَانَتْ رُخْصَةً فَمَنْ مَنَ صَامَ، وَمَنْ مَنَ أَفْطَرَ، ثُمَّ نَزَلْنَا مَنْزِلًا آخَرَ، فَقَالَ: إِنَّكُمْ مُصَبِّحُو عَدْوِكُمْ ، وَالْفِطْرِ أَقْوَى لَكُمْ، فَافْطَرُوا، فَكَانَتْ عَزْمَةً، فَافْطَرْنَا، ثُمَّ رَأَيْتُنَا نَصُومُ بَعْدَ ذَلِكَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي السَّفَرِ).

[رواه أحمد ومسلم وأبو داود]

وعن أبى سعيد قال: (كنا نغزو مع رسول الله ﷺ فى رمضان، فمنا الصائم ومنا المفطر، فلا يجد (٣٧٢) الصائم على المفطر، ولا المفطر على الصائم، ثم يرون أن من وجد قوة فصام فإن ذلك حسن ، ويرون أن من وجد ضعفاً فافطر فإن ذلك حسن).

[رواه أحمد ومسلم]

(٣٦٨) النساء: ٢٩ .

(٣٦٩) الحج: من الآية ٧٨ .

(٣٧٠) (لأن الله يُحب أن تؤتى رُخصه كما تؤتى عزائمه).

(٣٧١) وهى حديث حمزة الأسلمى رضى الله عنه .

(٣٧٢) أى: فلا يعترض الصائم على المفطر، ولا المفطر على الصائم .

ثم يقول: وقد اختلف الفقهاء في أيهما أفضل؟ فرأى أبو حنيفة والشافعي ومالك: أن الصيام أفضل لمن قَوِيَ عليه، والفطر أفضل لمن لا يقوى على الصيام.

وقال أحمد: الفطر أفضل.

وقال عمر بن عبد العزيز: أفضلهما أيسرهما ، فمن يسهل عليه حينئذ ويشق عليه قضاؤه بعد ذلك فالصوم في حقه أفضل.

وحقق الشوكاني الأمر فرأى أن من كان يشق عليه الصوم ويضره، وكذلك من كان مُعرضاً عن قبول الرخصة، فالفطر أفضل، وكذلك من خاف على نفسه العُجب أو الرياء إذا صام في السفر فالفطر في حقه أفضل. وما كان من الصيام خالياً عن هذه الأمور فهو أفضل من الإفطار.

وقد ذكر صاحب كتاب (الفقه الواضح) أهم الأحكام المتعلقة بالأعذار الشرعية المبيحة للفطر، فقال ما خلاصته:

أن المريض إن غلب على ظنه أن الصوم يُهلكه أو يُفقد حاسة من حواسه، فإنه لا يجوز له أن يصوم حينئذ لقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَلَا تَقْرَأُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (٢٧٣).

وأنه يُباح الفطر للمريض إذا أخبره طبيب مسلم حاذق بأن الصوم يُضعفه ويزيد في مرضه أو يؤخر شفاؤه، وأن الصوم يكره .. لأن الفطر في حقه رخصة من الله.. وإن كان صومه يقع صحيحاً يُثاب عليه. وأنه إن غلب على ظنه أن الصوم سيُهلكه .. فإنه سيكون حراماً بالنسبة له.

وأن المسافة التي تُبيح للمسافر أن يفطر هي التي تُقصر فيها الصلاة وإن لم يضره الصوم .. وهي تقدر بنحو ٨٩ كيلو .. وأنه إذا كان السفر لا يضره إن صام .. كان الصوم له أفضل لعموم قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢٧٤) ولحديث عائشة رضي الله عنها أن حمزة بن عمرو الأسلمي قال للنبي صلى الله عليه وسلم:

(٢٧٤) البقرة: من الآية ١٨٤.

(٢٧٣) البقرة: من الآية ١٩٥.

(أصوم في السفر؟ - وكان كثير الصيام - فقال: إن شئت فُصُم ، وإن شئت فافطر) [أخرجه الجماعة] (٣٧٥) .

أما إذا كان الصوم مع السفر يُجهد فالفطر له أولى، بل يجب عليه إذا بلغت منه المشقة مبلغاً أن لا يصوم ، فعن جابر أن النبي ﷺ خرج إلى مكة في رمضان عام الفتح فصام حتى بلغ كُراع الغميم (٣٧٦) فصام الناس معه، فقيل له: إن الناس قد شقَّ عليهم الصيام وأنهم ينظرون فيما فعلت، فدعا بقدر من ماء بعد العصر فشرب والناس ينظرون إليه، فأفطر بعضهم وصام بعضهم، فبلغه أن أناساً صاموا، فقال: (أولئك العُصاة، أولئك العُصاة) . [أخرجه مسلم والترمذى]

ثم بعد ذلك يجيب على سؤال هام، وهو: متى يجوز للمسافر الفطر؟ فيقول: يجوز له الفطر متى شرع في السفر سواء شرع في السفر أول الشهر أم نصفه .. ولا يُفطر حتى يُغادر مساكن البلد التي خرج منها مسافراً ويظل مُفطراً حتى يرجع إلى بلده إذا لم يكن قد نوى الإقامة أكثر من خمسة عشر يوماً عند الحنفيين بموضع واحد.

وقال الأئمة الثلاثة: المسافر إذا نوى إقامة أقل من أربعة أيام أفطر، وإن نوى إقامة أربعة أيام غير يومى الدخول والخروج صام. وأما من لم ينو الإقامة وعزم على الرجوع إلى بلده متى يقضى حاجته: فإنه يُفطر مدة انتظاره قضاء حاجته عند الحنفيين ومالك وأحمد وفى إحدى الروايات عن الشافعى .. ثم يقول: هذا ويستحب للمسافر إذا عاد من سفره نصف النهار أن يُمسك بقية اليوم مراعاةً لحرمة الشهر، وإن لم يُمسك فلا شىء عليه.

وأما عن الحامل والمرضع: فإنه يباح لهما الفطر إذا خافت كل منهما على نفسها أو ولدها (لحديث) أنس بن مالك الكعبى أن النبي ﷺ قال: (إنَّ الله

(٣٧٥) وهم: مالك وأحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى .

(٣٧٦) كُراع بضم الكاف، والغميم) بفتح الغين المعجمة: وإد أمام عسفان على بعد ثلاث مراحل من مكة .

وضعَ عن المسافرِ شَطْرَ الصلاةِ (٣٧٧) ، وعن المسافرِ والحاملِ والمرضعِ
الصَّوْمِ] [أخرجه أحمد والترمذى]

ثم يقول: واختلف الأئمة فى لزوم الفدية عليهما . فقال الحنفيون: يُباح
الفطر للحامل والمرضع إذا خافت كل واحدة منهما على نفسها أو ولدها وعليهما
القضاء عند القدرة ولا فدية عليهما لعدم النص عليهما.

وقال المالكية: لا تجب الفدية على الحامل، ولكن تجب على المرضع مع
وجوب القضاء على كل منهما. وقالت الشافعية: إذا خافت الحامل والمرضع
بالصوم ضرراً لا يُحتمل سواء كان الخوف على أنفسهما وولدهما معاً أو على
أنفسهما فقط أو على ولدهما فقط: وجب عليهما الفطر وعليهما القضاء فى
الأحوال الثلاثة وعليهما أيضاً الفدية مع القضاء فى الحالة الأخيرة، وهى حالة
الخوف على الولد فقط، وكذلك قال الحنابلة، إلا أنهم قالوا: لا يجوز للمرضع
الفطر إذا وجدت من تُرضع ولدها أو وجدت ما تطعمه به على تفصيل فى ذلك.

ثم يقول عن كِبَرِ السِّنِّ: يُباح للرجل إذا كَبِرَ فى السِّنِّ وَعَجَزَ عن الصوم أن
يُفطر ويُطعم عن كل يوم مسكيناً مُدّاً من قمح أو شعير، وقيل: يُطعم نصف
صاع من قمح أو صاعاً من تمر أو زبيب - والمد نصف قدح مصرى، والصاع
قدحان بالكيل المصرى - فإن لم يجد ما يطعمه سقط عنه .

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (رُخِّصَ للشيخ الكبير أن يفطر ويطعم عن كل يوم
مسكيناً ولا قضاء عليه) [أخرجه الدارقطنى والحاكم]

وأما عن المجاهد الذى يُضعف الصوم من قوته فى قتال عدوه: فإنه يباح له
- كذلك - أن يفطر وعليه القضاء، لأن الجهاد فرض من فرائض الإسلام ينبغى
للمسلم أن يُعدَّ له ما استطاع من قوة عملاً بقوله تعالى فى سورة الأنفال:
﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ (٣٧٨) .

(٣٧٧) أى: نصفها . بالنسبة للصلاة الرباعية.

(٣٧٨) الأنفال: من الآية ٦٠ .

وأما عن حكم: «مَن مات وعليه قضاء صوم»

فإننى أرى وإتماماً للفائدة أن أذكر هنا بما جاء فى كتاب (الفقه الواضح)

بنصه، حيث يقول مؤلفه أكرمه الله تحت هذا العنوان السابق:

(أ) من أفطر فى شهر رمضان، أو فى أيام نَدَرَ الله أن يصومها لعذر من الأعدار (٣٧٩) .. ثم مات قبيل زوال هذا العذر سقط عنه القضاء، ولا يلزمه أن يُوصى ورثته بإخراج فدية، ولو أوصاهم بإخراج فدية فهو من قبيل التصدق، لأن الطاعة على قدر الطاقة.

وقد قال رسول الله ﷺ فى الحديث الذى أخرجه مسلم وغيره: (ذرونى ما تركتكم، فإنما هلك مَن كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فاتوا منه ما استطعتم).

(ب) ومن أفطر لعذر وزال عذره قبل موته بمقدار يسع قضاء ما فاتته: لزمه القضاء ولا يسقط عنه بالموت لأنه عاش بعد زوال العذر وقتاً يسع أن يقضى فيه ما أفطر فيه، فقد قال الله عز وجل: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ (٣٠)، أى: فصيام عدة مثل العدة التى أفطرها من أيام تبدأ من زوال العذر وبعد يوم عيد الفطر (٣٨٠). فإذا كان قد أفطر خمسة أيام مثلاً، وعاش بعد يوم العيد خمسة أيام ثم مات لزمه القضاء، ولأنه عاش الأيام الأخر التى أمره الله أن يقضى ما فاتته فيها. ثم يقول: ومن هنا كان من المستحب للمسلم تعجيل ما فاتته من الفرائض حتى لا يفجأه الموت فلا يستطيع القضاء فيكون تفريطه فيه حسرة عليه.

(ج) ومَن عاش بعد زوال العذر أياماً أقل من الأيام التى أفطر فيها لزمه

(٣٧٩) كسفر أو مرض.

(٣٨٠) البقرة: آية ١٨٤.

(٣٨٠) وذلك لأن صيام يوم عيد الفطر حرام، وكذلك يوم عيد الأضحى، أما بالنسبة لآيام الشريق وهى اليوم الحادى عشر والثانى عشر والثالث عشر، فإنه منهى كذلك عن صيامها، وقد أجاز أصحاب الشافعى أن نصوم فيها نذراً أو قضاء أو كفارة.

القضاء بعدد الأيام التي عاشها بعد زوال العذر وسقطت عنه الأيام المتبقية بالموت، فإن كان قد قضى هذه الأيام فيها (٣٨١)، وإن لم يكن قد قضى فيها بعض ما فاتته: فعليه أن يُوصى الورثة بإخراج فدية عن كل يوم فرط فيه، فإذا كان عليه عشرة أيام مثلاً من رمضان فزال عذره بعد يوم العيد وعاش خمسة أيام بعده ومات، فإن كان قد صام هذه الأيام الخمسة سقط عنه قضاء الأيام الباقية، فإن لم يكن قد صام الأيام الخمسة التي عاشها فعليه أن يوصى بإخراج الفدية عن كل يوم، والفدية كما عرفت صاع من تمر أو نصف صاع من قمح، أو مُدٌّ بمُدِّهِ ﷺ، وقد عرفت أن الصاع قدحان بالكيل المصرى، وأن القدح يساوى مُدَّين بمُدِّهِ ﷺ، والمُدُّ ما يملأ كف الرجل المتوسط .

(د) ومن أفطر لعذر وتمكن من القضاء ولم يَقْضِ، أو أفطر بغير عذر ومات ولم يقض: أطلع عنه مَنْ له التصرف فى ماله عن كل يوم مسكيناً (لحديث) ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: (مَنْ مات وعليه صيامُ شهرٍ فليُطعمِ عنه مكان كلِّ يوم مسكيناً). [أخرجه الترمذى وابن ماجه]

(ولذا) قال الجمهور: لا يُصام عن الميت مطلقاً ويطعم عنه وليه إن أوصى به له.

(ويؤيد) ما ذهبوا إليه أيضاً ما رواه البخارى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (لا يُصلى أحد عن أحد، ولا يصوم أحد عن أحد، ولكن يُطعم عنه مكان كل يوم مُدًّا من حنطة) أى: قمح . وروى عبد الرزاق والبيهقى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (لا تصوموا عن موتاكم وأطعموا عنهم) .

ثم يقول: هذا، ويلزم أن يكون الإطعام من ثلث ما تركه مَنْ عليه الفدية إن كان له وارث، وإن لم يكن له وارث أُخْرِجَتْ من ماله كله لا من ثلثه فقط .
وذهب كثير من الشافعية إلى جواز الصيام عن الميت ويصوم عنه وليه أو شخص أجنبي إذا أذن له الولي فى ذلك .

(٣٨١) أى: فقد فعل خيراً كان موقفاً فيه .

واحتجوا بما رواه البخارى ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ) وفى رواية أخرى للبزار قال: (صام عنه وليه إن شاء) وروى البخارى ومسلم واللفظ له عن ابن عباس رضي الله عنهما: جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم قالت: يا رسول الله، إن أمى ماتت وعليها صوم نذر أفأصوم عنها؟ قال: (أرأيت لو كان على أمك دينٌ ففقيته ، أكان يؤدى ذلك عنها؟ قالت: نعم: قال: فَصُومِي عَنْ أُمِّكَ).

فعلى الأخ المسلم والأخت المسلمة أن يلاحظا كل هذا وينفذاه على هذا الأساس الفقهى السليم الذى أسأل الله تعالى أن ينفعنا به على الدوام .. اللهم آمين،

(٢٨) يا رسول الله ، ما حكم المباشرة للصائم؟

عن أبى هريرة رضي الله عنه: (أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن المباشرة (٣٨٢) للصائم؟ فرخص له، وأتاه آخر فسأله؟ فنهاه، فإذا الذى رخص له شيخ (٣٨٣)، والذى نهاه شاب) [أخرجه أبو داود والبيهقى بسند جيد] (٣٨٤).

وقال ابن عمرو رضي الله عنهما: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجاء شاب فقال: يا رسول الله، أقبّل وأنا صائم؟ قال: لا. فجاء شيخٌ فقال: أقبّل وأنا صائم؟ قال: نعم. فنظر بعضنا إلى بعض، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قد علمت لِمَ نَظَرَ بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ . إِنْ الشَّيْخُ يَمْلِكُ نَفْسَهُ) (٣٨٥).

[أخرجه أحمد والطبرانى فى الكبير وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وفيه كلام] (٣٨٦)

(٣٨٢) المراد من المباشرة ما عدا الجماع، فتشمل القبلة والمس باليد واتصال الجسم بالجسم.
(٣٨٣) أبى: الرجل المسن الذى جاوز سن الشباب، كما يشير إلى هذا قول الله تعالى: ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ (٢٢) ﴿القصص﴾.

(٣٨٤) انظر: ص ١١٥ ج ١٠ (المنهل العذب المورود - كراهيته للشباب) وص ٢٣١ ج ٤ البيهقى.
(٣٨٥) وهذا معناه كما بين النبي صلى الله عليه وسلم أن القبلة والمباشرة لا يُكرهان لذاتهما، بل إذا أفضتا إلى الإنزال.

(٣٨٦) انظر: ص ٥١ ج ١٠ الفتح الربانى (القبلة للصائم) وص ١٦٦ ج ٣ مجمع الزوائد.

وعن عائشة رضي الله عنها: (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يُقبَلُ بعض أزواجه وهو صائم، ويُبَاشِرُ وهو صائم، وكان أملككم لإربه) (٣٨٧).

[أخرجه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه] (٣٨٨)

(فقد) دلَّت هذه الأحاديث (٣٨٩): على أنه يجوز للصائم الذي يملك نفسه ويأمن الفتنة أن يُقبَل ولا يفسد صومه، وأما من لا يأمن الفتنة فيكره له التقبيل والمباشرة (وبهذا) قال الحنفيون، وقال الشافعي: يكره ما ذُكر إن لم يُحرك الشهوة وإلا حُرِّم. ومشهور مذهب مالك: كراهة التقبيل ونحوه مطلقاً إذا علّمت السلامة، وإن لم تُعلم فهو حرام. (وروى) ابن وهب عن (مالك): الإباحة في النفل دون الفرض.

(قال) عبد الحافظ: وكرهه مقدمة جماع كقبلة وفكر ونظر إن أمن على نفسه من خروج منى أو مذى، وإن لم يأمن ذلك بأن تحقق خروج أحدهما أو ظنه أو شك فيه: حرم عليه كل من المقدمة والفكر، إلا إن توهم عدم السلامة فلا حرمة وكفّر مع القضاء إن أمنى (٣٩٠) حال الحرمة لا حال الكراهة: فلا يكفّر، وإنما يقضى فقط كما إذا أمذى (٣٩١) مطلقاً حال حرمة أو كراهة (٣٩٢).

(وحاصل) مذهب أحمد أن المُقبَل إذا كان ذا شهوة مُفرطة - بحيث يغلب على ظنه أنه إذا قبَل أنزل - لم تحل له القبلة لأنها مفسدة لصومه، فحرمت كالأكل. وإن كان ذا شهوة خفيفة - بحيث لا يغلب على ظنه ذلك - كره له التقبيل لأنه

(٣٨٧) (الأرب) بفتحات: الحاجة والشهوة، ويروى بكسر فسكون ويطلق على الذكر خاصة، أى: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أقدر على وطئه وشهوته، يأمن مع المباشرة الإصابة في الفرج .
(٣٨٨) انظر: ص ٥٤ ج ١٠ (الفتح الرباني) وص ١٠٦ ج ٤ (فتح الباري) المباشرة للصائم، وص ٢١٧ ج ٧ (نووي) وص ٢٦٥ ج ١ (ابن ماجه) وص ٤٨ ج ٢ (تحفة الأحوذى) وص ١٠٩ ج ١٠ (المنهل العذب المورود).

(٣٨٩) كما جاء في الجزء الثامن من (الدين الخالص) ص ٣٦٧.

(٣٩٠) أى: أنزل منياً .

(٣٩١) أى: أنزل مذياً .

(٣٩٢) انظر: ص ٦٣٠ ج ١ (الفجر المنير).

يُعْرَضُ صومه للفطر ولا يأمن عليه الفساد، وإن كان شيخاً هرمًا لا تُحْرَكُ القُبلة شهوته، ففي (رواية): لا تكره له لما تقدم مما يدل على إباحتها للشيخ. وفي (رواية): يكره له القُبلة لأنه لا يأمنُ من حدوث الشهوة، لأن الصوم عبادة تمنع الوطء فاستوى في القُبلة فيه من تحرك شهوته وغيره. وأما (اللمس) بغير شهوة فليس بمكروه بحال (٣٩٣).

ثم بعد ذلك يقول في (الدين الخالص) ما ينبغى على المُقْبِل والمباشر أن يلاحظاه بصفة خاصة حتى لا يقع في المحذور الذي يُفسدُ الصيامَ اتفاقًا:
(هذا) وللمُقْبِل والمباشر ثلاث أحوال:

(أ) ألا يُنْزَلَ فلا يفسد صومه اتفاقًا ، لحديث عائشة (٣٩٤) (وحديث) جابر ابن عبدالله أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: (هَشَشْتُ (٣٩٥) فُقِبْتُ وأنا صائم، فقلت: يا رسول الله صنعتُ اليومَ أمرًا عظيمًا فُقِبْتُ وأنا صائم. قال: أرأيتَ لو مضمضتَ من الماء وأنت صائم؟ قلتُ: لا بأس به، فقال: فَمَهْ (٣٩٦) [أخرجه أحمد وأبو داود والطحاوي والحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين] (٣٩٧)

(ب) أن يُمنَى فيفطر اتفاقًا ، لإشارة الحديثين، ولأنه إنزال بمباشرة فأشبهه الإنزال بالاستمتاع بغير الفرج، وعليه القضاء فقط عند الحنفيين والشافعي وأحمد، وكذا الكفارة عند مالك وإسحاق.

(ج) أن يُمْدَى فيفطر وعليه القضاء عند مالك وأحمد (وقال) الحنفيون والشافعي: لا يفطر لأن المذى خارج لا يوجب الغُسل فأشبهه البول، ووجه - الرأى - الأول أنه خارج بشهوة عن مباشرة فأفسد الصوم كالمنى فليس

(٣٩٣) انظر: ص ٤٨ ج ٣ (معنى ابن قدامة).

(٣٩٤) وهو الذى ذكرت فيه أن النبى ﷺ كان يُقْبَلُ بعض أزواجه وهو صائم.

(٣٩٥) هَشَّ من باب ضرب وتعب: أى ارتاح ونشط.

(٣٩٦) (مه): ما استفهامية حذفت ألفها وعوض عنها هاء السكت. وفي رواية أحمد (فقيم) أى:

فقيم تسأل؟

(٣٩٧) انظر: ص ٥٢ ج ١٠ الفتح الربانى (الرخصة فى القبلة والمباشرة للصائم) وص ١١٣

(المنهل العذب المورود) وص ٤٣١ ج ١ (مستدرک).

كالبول، واللمس بشهوة كالقابلة فيما ذكر.

فعلى الأخ المسلم والأخت المسلمة أن يلاحظا كل هذا أثناء صيامهما - فى رمضان بصفة خاصة - وذلك حتى لا يُعرضا صيامهما للضياع والفساد ... فيقضيانه أو يُكفّران عنه ... وعليهما أن يبتعدا كزوجين صالحين إن شاء الله عن جميع المحركات الشهوانية كاللمس والتذكر وطول النظر .. وأمامهما الليل طويل .. والله تعالى يقول: ﴿أَحِلُّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيْمِ الرَّفَثُ (٣٩٨) إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لَبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لَبَاسٌ لَهُنَّ (٣٩٩)﴾ (٤٠٠). والله الموفق للصواب.

(٢٩) مَا حَقَّ الْمَسَاجِدَ .. يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟

عن أبى قتادة رضي الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: (إذا جاء أحدكم المسجد فليُصَلِّ سجدتين (٤٠١) من قَبْلِ أَنْ يَجْلِسَ).

[أخرجه أحمد والبخارى ومسلم، وأبو داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه، والبيهقى] وكذا الأثرم فى سننه بلفظ: (أَعْطُوا الْمَسَاجِدَ حَقَّهَا ، قَالُوا: وَمَا حَقُّهَا؟ قَالَ: (أَنْ تَصَلُّوا رَكَعَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ تَجْلِسُوا) .

وأخرجه ابن ماجه عن أبى هريرة بلفظ: (إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ ، فَلَا يَجْلِسُ حَتَّى يُصَلِّيَ رَكَعَتَيْنِ).

وأخرجه البيهقى فى السنن، وابن عدى فى الكامل، والبيهقى فى شُعَبَ الإيمان عن أبى هريرة بلفظ: (إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَلَا يَجْلِسُ حَتَّى يَرْكَعَ

(٣٩٨) قال ابن عباس: الرفث الجماع، ولكن الله كريم يكتفى .. أى: أحِلَّ لكم فى ليالى رمضان الجماع لنسائكم .

(٣٩٩) أى: نساؤكم ستر لكم وأنتم ستر لهن. لانضمام جسد كل واحد منكما لصاحبه عند الجماع.

(٤٠٠) من الآية ١٨٧.

(٤٠١) سجدتين: أى ركعتين .

ركعتين، وإذا دخل أحدكم بيته، فلا يجلس حتى يركع ركعتين، فإن الله جاعلٌ له من ركعتيه في بيته أجراً).

وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه عن أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أعطوا المساجد حقها: ركعتان قبل أن تجلسوا).

(فكل) هذه الأحاديث الشريفة، كما هو واضح منها، ومن مضمونها، تُرغَّب، في:

تحية المسجد

التي يطلب ممن دخل المسجد - غير المسجد الحرام (٤٠٢) - ألا يجلس حتى يصلى ركعتين تحية له:

(ولما) كان هذا الموضوع من الأمور التي ينبغى على المسلم أن يكون على علم بأحكامها:

فقد رأيت أن أقف مع الأخ القاري، على ما جاء في (الدين الخالص) بتصرف حول هذا الموضوع الذي قال فيه:

(ولظاهر) الأمر قالت الظاهرية بوجوب تحية المسجد على كل من دخله في وقت تجوز فيه الصلاة.

وقال بعضهم: تجب في كل وقت، لأن فعل الخير لا يُمنع إلا بدليل.

(وقال الجمهور): الأمر للندب، فهي سنة (لحديث) ضمام بن ثعلبة أنه جاء يسأل عن الإسلام، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (خمس صلوات في اليوم والليلة) قال: هل على غيرهن؟ قال: (لا، إلا أن تطوع).

[أخرجه أحمد والشيخان والنسائي وأبو داود]

(ولقول) زيد بن أسلم: (كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يدخلون المسجد، ثم يخرجون ولا يصلون).

[أخرجه ابن أبي شيبة]

(٤٠٢) لأن تحية المسجد الحرام: هي الطواف حول الكعبة.

(ولقول) عبدالله بن بسر: كنت جالساً إلى جنب النبي ﷺ يوم الجمعة، فجاء رجل يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة، فقال له رسول الله ﷺ: (اجلس فقد آذيتَ وأنيتَ) (٤٠٣).

[أخرجه أحمد، والطحاوي، وأبو داود، والنسائي، وابن حبان، والحاكم، والبيهقي] (ففى) هذا الحديث السابق أمر الرسول ﷺ الرجل المتخطى للرقاب بالجلوس ولم يأمره بالصلاة.

(قال) البدر العيني: لو قلنا بوجوب تحية المسجد لَحَرُمَ على المحدث الحدث الأصغر دخول المسجد حتى يتوضأ، ولا قائل به. فإذا كان دخول المسجد على غير وضوء، لزم منه أنه لا يجب عليه صلاة تحية المسجد عند دخوله اهـ بتصريف.

(وهذه) الأحاديث - التى ندور حولها - تدل على مشروعية تحية المسجد فى كل وقت حتى وقت خطبة الجمعة (وبه) قال الشافعية، وابن عيينة، وابن المنذر، وداود، وإسحاق بن راهويه، والحسن البصرى، لعموم هذه الأحاديث .

(ولحديث) جابر بن عبدالله، قال: جاء سُلَيْكُ الغطفانى يوم الجمعة ورسول الله ﷺ يخطب، فجلس، فقال له: (يا سُلَيْكُ، فَمُ فاركع ركعتين وَتَجَوَّزُ فِيهِمَا) (٤٠٤). ثم قال: إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليركع ركعتين وليتجوَّزَ فيهما). [أخرجه الشيخان]

وكذا الطبرانى فى الكبير بلفظ: (صَلُّ رَكَعَتَيْنِ تَجَوَّزَ فِيهِمَا، وَإِذَا جَاء أَحَدُكُمْ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَلْيُصَلِّ رَكَعَتَيْنِ وَلْيُخَفِّفْهُمَا).

(وأما) أحاديث النهى عن الصلاة بعد الفجر حتى تطلع الشمس، وبعد العصر حتى تغرب الشمس: (فمحمولة) على ما لا سبب له من الصلوات.

(لحديث) أم سلمة قالت: سمعت رسول الله ﷺ ينهى عنهما (أى: عن

(٤٠٣) آيت: أى تأخرت.

(٤٠٤) أى: لا تطل فيهما .

الركعتين) بعد العصر، ثم رأيته يصليهما [الحديث أخرجه الشيخان وأبو داود
(والخلاصة) التي من الممكن أن نكتفي بها، هي ما جاءت في (الفقه
الواضح) (٤٠٥)، حيث يقول ما خلاصته:

يُسَنُّ لكل من دخل المسجد، وكان على وضوء، وأراد الجلوس فيه، أن يصلي
ركعتين، تحية له، إذ لا يصح له أن يمكث في المسجد دون أن يؤدي له التحية .
(وذلك) قبل أن يجلس، أو يُسَلِّمَ على أحد (٤٠٦) ... (فإنه) جلس قبل أن يصلي
تحية المسجد، ناسياً، أو جاهلاً، ولم يُطَلِّجْ جلوسه قام فصلى (٤٠٧) .

(أما) إن جلس متعمداً، أو طال الجلوس، فإنه لا يقوم لتحية المسجد، لأنها
تفوت بذلك على المشهور .

وتُصَلَّى - تحية المسجد - في كل وقت حتى في أوقات النهي - عند الشافعية
- لأنها صلاة لها سبب .

ولا تُصَلَّى في أوقات النهي: عند المالكية والحنفية، في أوقات النهي.
وإذا دخل المسلم المسجد، والمؤذن يقيم الصلاة، فلا يصلي تحية المسجد،
ولكن يدخل مع الجماعة، لقوله ﷺ:

(إذا أُقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة) [رواه مسلم]

وقال الشافعية: تتكرر تحية المسجد بتكرر الدخول. وقال بعضهم: تجزئة
تحية واحدة إذا تكرر الدخول . (وهذا) الخلاف فيمن تكرر دخوله المسجد في
ساعة واحدة (أما) إذا كان الوقت بين الدخول الأول والثاني مُتَبَاعِداً ، فلا
تُجزئه تحية واحدة باتفاق العلماء .

وإذا صلى المسلم فرضاً أجزاءه ذلك عن تحية المسجد، سواء كان الفرض
الذي صلاه أداء، أو قضاء، لأن المستحب أن لا ينتهك المسلم حرمة المسجد،
فيجلس فيه من غير صلاة يتقرب بها إلى الله عز وجل .

(٤٠٥) ج ٣ ص ٥٧ وما بعدها .

(٤٠٦) كما جاء في الأحاديث التي ندور حولها .

(٤٠٧) كما جاء في حديث سليك الغطفاني .

وأقل ما يجزئ من الصلاة ركعتان .. فلا تجزئ ركعة واحدة .. وكذلك لا تسد صلاة الجنازة .. مسدّها ، على الأصح من أقوال الفقهاء، لأنها لا تشتمل على ركوع ولا سجود .

وعند الشافعية: يجوز لمن أتى المسجد، والإمام على المنبر، أن يصلي ركعتين خفيفتين..(لحديث) سليك الغطفاني المتقدم. (وقال) المالكية والحنفية: لا يصلي، ولكن يجلس (لحديث) ابن عمر عن النبي ﷺ الذي يقول فيه: (إذا خطب الإمام فلا صلاة ولا كلام) (٤٠٨).

وعلى كل من دخل المسجد الحرام أن يطوف بالبيت أولاً، ثم يصلي بعده ركعتين (ولكن) يجوز لمن أراد الجلوس فيه، ولم يقوَ على الطواف أن يُصَلِّيَ ركعتين تحيةً له، مثل أي مسجد .

وقد جاء كذلك: في الهدى (٤٠٩): أنه كان من هدي النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن الداخل إلى المسجد يبتدي بركعتين تحيةً للمسجد، ثم يسلم على القوم، فتكون تحية المسجد قبل تحية أهله، فإن تلك حق الله تعالى، والسلام على الخلق حق لهم، وحق الله تعالى في مثل هذا أحق بالتقديم، بخلاف الحقوق المالية، فإن فيها نزاعاً معروفاً عند الفقهاء. وكانت عادة القوم معه صلى الله عليه وعلى آله وسلم هكذا، يدخل أحدهم المسجد فيصلّي ركعتين، ثم يسلم على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ... اهـ .

وكذلك، ورد، أنه:

يُسَنُّ للِقَادِمِ من سفر أن يبدأ بالمسجد فيصلّي فيه ركعتين (لقول) كعب بن مالك: كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذا قَدِمَ من سفر بدأ بالمسجد فصَلَّى فيه ركعتين . [أخرجه الشيخان]

(٤٠٨) وهذا الموضوع .. وإن اختلف فيه بالنسبة لصلاة الركعتين .. فإنه ينبغي أن يصليهما خروجاً من الخلاف وبدون إطالة .. أما الكلام أثناء الخُصْبَةِ فهو حرام اتفاقاً .
(٤٠٩) لابن القيم عليه رحمة الله .

(ولقول) جابر: كنت مع النبي ﷺ في غزاة ، واشترى مني جملاً بأوقية، ثم قدم قبلى، وقدمتُ بالغداة (٤١٠)، فوجدته على باب المسجد، قال: (الآن قدمت؟ قلت: نعم. قال: فادخل فصلً ركعتين) [أخرجه الشيخان وأبو داود والنسائي] وكذلك، من السنة أن ننفذ قول النبي ﷺ الذى وقفنا عليه فى أول الكلام: (..وإذا دخل أحدكم بيته فلا يجلس حتى يركع ركعتين ، فإن الله جاعلٌ له من ركعتيه في بيته أجراً).

فعلى الأخ المسلم أن يلاحظ كل هذا إن شاء الله .. حتى يكون منفذاً له.. على أنه واجب .. مع ملاحظة: أن الواجب ما يُثابُ الإنسان على فعله، ويُعاقبُ على تركه.. (أو) على أنه سنّة من سنن الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه الذى ورد أنه قال: (مَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحْبَبَنِي، وَمَنْ أَحْبَبَنِي كَانَ مَعِيَ فِي الْجَنَّةِ).

(وعلى) الأخت المسلمة كذلك أن تلاحظ كل هذا أيضاً - وتنفذه - إذا ذهبت إلى المسجد، وكان هناك مكان مخصّصٌ لها مع أخواتها المسلمات.. حتى تفوز بنفس الثواب الذى سيفوز به الأخ المسلم ؛ لأن الإسلام لم يفرق بين الذكر والأنثى فى نتائج الأعمال الصالحة.. قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ (٤١١) ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٤١٢) . والله ولى التوفيق،، (٤١٣).

(٤١٠) أى: فى وقت الغداة وهى صلاة الصبح .

(٤١١) أى: فى الدنيا .

(٤١٢) أى: فى الآخرة .

(٤١٣) النحل: ٩٧ .

(٢٠) لَأَيِّ شَيْءٍ سُمِّيَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِهَذَا الْاسْمِ

يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟

عن علي بن أبي طلحة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: لَأَيِّ شَيْءٍ سُمِّيَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ؟ قال: (لأن فيها طُبِعَتْ طَبِئَةُ أَبِيكَ آدَمَ، وفيها الصَّعْقَةُ وَالْبَعْثَةُ، وفيها الْبَطْشَةُ، وفي آخره ثلاث ساعات، منها ساعة مَنْ دَعَا اللَّهَ فِيهَا اسْتَجِيبَ لَهُ)

[أخرجه أحمد بسند رجاله رجال الصحيح]

(وقيل): سُمِّيَ بِذَلِكَ لِاجْتِمَاعِ الْأَنْصَارِ مَعَ أَسْعَدِ بْنِ زُرَّارَةَ ^(٤١٤) فِيهِ فَصَّلَى بِهِمْ، وَذَكَرَهُمْ، فَسَمَّوْهُ بِالْجُمُعَةِ بَعْدَ أَنْ كَانَ يُسَمَّى يَوْمَ الْعُرُوبَةِ، أَي: يَوْمَ التَّحْسِينِ، لِأَنَّهُ يَوْمٌ تَجَمَّلُ .

(وعلى كل حال): فَإِنَّ الَّذِي يَعْنِينَا هُوَ الْيَوْمُ الْمُبَارَكُ الْمُسَمَّى بِهَذَا الْاسْمِ .. الَّذِي سَمَّاهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ، حَيْثُ يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فِي سُورَةِ الْجُمُعَةِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آية رقم: ٩].

وهو أفضل أيام الأسبوع: (لحديث) أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، قال: (خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا يَوْمَ الْجُمُعَةِ). [أخرجه أحمد ومسلم والترمذي]

(٤١٤) ذكر ابن إسحاق قصة أسعد بن زرارة فقال: حدثني محمد بن أبي أمامة بن سهل عن أبيه كعب بن مالك أنه كان إذا سمع النداء يوم الجمعة ترحم لأسعد بن زرارة - أي دعا له بالرحمة - فقلت له: إذا سمعت النداء ترحمت لأسعد بن زرارة قال: لأنه أول من جُمِعَ بيننا في هزم النبي من حرة بنى بياضة في نقيع يقال له نقيع الخضعات. قال: قلت كم أنتم يومئذ؟ قال: أربعون. أخرجه أبو داود وابن حبان والدارقطني، وكذا البيهقي من طريقين.

(وكلمة) خير، أفعل تفضيل، حُذفت همزته لكثرة الاستعمال (وظاهره) أن يوم الجمعة أفضل من يوم عرفة^(٤١٥) والنحر ويشكل عليه:

(حديث) جابر أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: (ما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة)، (وحديث) عبدالله بن قرط أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: (أفضل الأيام عند الله تعالى يوم النحر). والحديثان أخرجهما ابن حبان في صحيحه.

(وقد) أجاب العراقي بأن المراد تفضيل يوم الجمعة بالنسبة لأيام الأسبوع، وتفضيل يوم عرفة أو النحر بالنسبة لأيام السنة (ويؤيده) حديث أوس بن أبي أوس أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: (إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة) [الحديث أخرجه أحمد والبيهقي وابن حبان والحاكم وصححه الأربعة^(٤١٦) إلا الترمذى]

(وصرح) العراقي بأن حديث أفضلية يوم الجمعة أصح (وقال) الشوكاني: إن دلالة حديث جابر على أفضلية يوم عرفة أقوى من دلالة حديث عبدالله بن قرط على أفضلية يوم النحر .

(هذا)، وإذا كان لنا بعد هذا التمهيد الهام الذى كان لابد منه ، حتى نضع النقط على الحروف، كما يقولون . أن نعود إلى الحديث الأول الذى ندور حوله، حتى نقف على المعنى المراد من المشار إليه فيه، وهو:

خلق أبيتنا آدم.. فإن المراد هو أن الله تبارك وتعالى خلق أبانا آدم من الماء والطين .. ثم سَوَّاهُ من صلصال من حمأ مسنون^(٤١٧) .. ثم نفخ فيه من روحه، فسرت فيه نَسْمَةُ الحياة، وصار بشراً سَوِيًّا.

ثم بعد ذلك أمر الله تعالى ملائكته بأن يسجدوا^(٤١٨) لآدم: ﴿سَجَدُوا لِأَدَمَ﴾

(٤١٥) يوم عرفة هو اليوم التاسع من ذى الحجة، ويوم النحر هو اليوم العاشر من ذى الحجة.

(٤١٦) الأربعة هم: أبو داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجة.

(٤١٧) الحمأ: الطين الأسود، والمسنون: أى المصور .

(٤١٨) سجود تعظيم .. لا سجود عبادة.

إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ ۞ أَى: لآدم ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ أَى: حين أمرتك ؟ ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ أَى: أنا أفضل من آدم ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ ۞ لقد فهم عبود الله لجهله وشقلوته وخسرانه: أن جوهر النار أفضل من جوهر الطين .. ولو كان غير أحمق لعلم أن الفضل ليس بالعنصر والجوهر، وإنما هو بالطاعة والالتقيلا .. ثم إن جوهر النار فيه الخفة والطيش والاضطراب وجوهر الطين فيه الأثانة والحلم.

فهو لهذا .. قد أخطأ القياس، فكان جزاؤه هو ما جاء يعد ذلك فى قوله سبحانه: ﴿قَالَ فَصَبَّحْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ أَى: اهبط من الجنة ، لأنه لا يسكنها متكبر عن أمر الله ﴿فَأَخْرَجْنَاكَ مِنَ الصَّاعِرِينَ﴾ ۞ أَى: فأخرج منها ذليلاً مهاناً ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي﴾ أَى: أخرنى وأجلنى ﴿إِنِّي يَوْمَ يَحْشُونَ﴾ ۞ أَى: إلى يوم يبعث الخلق ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ ۞ (٥) أَى: أنك من المؤجلين إلى يوم الوقت المعلوم ، وهو يوم يُفْتَخُ فى الصور .

(وذلك) لأن الملعون سأل ربه أن يمهله إلى يوم يبعث فيه الخلق .. ولو أُعْطِيَ ذلك لأعطى خلوداً وبقاء لا فناء معه، لأنه لا موت بعد البعث .. فأخبره تعالى كما فى الآية الأخرى: ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ۝ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ (٤١٩)، أَى: إلى اليوم الذى كتب الله عليه فيه الهلاك والموت، لأنه لا شىء إلا وقد كُتِبَ له الفناء، غير ربنا الحى الذى لا يموت. قال: ﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ۞ أَى: قال إبليس لرب العزة: فبسبب ما أضللتنى، لأصُدَّنَّ بنى آدم عن عبادتك وطاعتك، ولأضلنَّهُم كما أضللتنى.

(والمراد) بالصرراط المستقيم: دين الله الحق وهو الإسلام وشرائعه ﴿ثُمَّ لَأَنْتَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ أَى: لآتينَّهُم من جميع وجوه الحق والباطل، فأصدَّهُم عن الحق، وأحسنَّ لهم الباطل ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ

(٥) الأعراف الآيات: ١١ - ١٥ .

(٤١٩) الحجر: ٣٧، ٣٨ .

شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ أى: ولا تجد أكثر بنى آدم شاكرين لنعمتك، ولا مطيعين لأمرك ..
﴿قَالَ أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْمُومًا مَذْحُورًا﴾ أى: قال الله تعالى لإبليس: اخرج من الجنة
معيبًا، مطرودًا من رحمتى ﴿لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾﴾ أى:
وأقسم أن من أطاعك من بنى آدم، أن أملأ جهنم من أتباعك الكفار، ومن ذريتك
الجن أجمعين.

(ثم) بعد ذلك يحذر الله تبارك وتعالى أبوينا من مكائد هذا اللعين الرجيم،
فيقول: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ أى: كُلَا مِنْ ثَمَارِ
الجنة من أى مكان شئتما منها ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾﴾ (٥)
أى: ولا تأكلا من ثمر شجرة معينة، فتكونا ممن خالف أمر الله ... (ولكن)
اللعين قد استطاع بعد ذلك بما أوتى من حيل شيطانية .. ومكر وخداع .. أن
يخدعهما: ﴿فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا﴾ أى:
ليسلبهما ما هما فيه من النعمة واللباس، ويظهر لهما عوراتهما . وقال ﴿مَا
نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ وَقَاسَمَهُمَا
إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ .

ثم يحكى الله تبارك وتعالى ما حدث بعد ذلك بسبب هذا الخداع، والحلف
الكذب، فيقول: ﴿فَدَلَاهُمَا بِغُرُورٍ﴾ أى: فخدعهما بزُخرف من القول الباطل
وغرهما ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا﴾ أى: انكشفت لهما عوراتهما
﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ أى: وجعلا يأخذان من ورق الجنة ليسترا
عوراتهما (٤٢٠) ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ
لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ فكان جوابهما بعد ذلك، هو ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ
لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ أى: وإن لم تستر ذنوبنا ، وتنداركننا

(٥) الأعراف من الآيات: ١٦ - ١٩ .

(٤٢٠) قال ابن كثير فى رواية وهب بن منبه: كان لباسهما نوراً على فروجهما، لا يرى هذا
عورة هذه، ولا هذه عورة هذا، فلما أكلا من الشجرة بدت لهما سوءاتهما.

برحمتك، لنكونن من الهالكين .. **﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾** أى: قال الله تعالى لآدم وحواء وإبليس: اهبطوا من السماء إلى الأرض. بعضكم أعداء لبعض **﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾** (٢٤) * أى: ولكم فى الأرض قرار تستقرون فيه على ظهرها ، واستمتاع تستمتعون به إلى انقطاع الدنيا (٤٢١) ..
التى: أولها بكاء، وأوسطها عناء، وآخرها فناء (٤٢٢).

(وفى رواية لمسلم والترمذى): (وفيه - أى: فى يوم الجمعة - أُدخِلَ الجنةَ وفيه أُخْرِجَ منها)، وهى تدل على أنه لم يُخلق فى الجنة، بل خُلِقَ خارجها ثم أُدخِلَ (٤٢٣) (وفيه) أَهْبِطُ، أى أنزل من الجنة فى جزيرة سرنديب (سيلان) جنوب الهند، وكان هبوطه من مزايا يوم الجمعة، لما ترتب عليه من خلق بنى آدم، ومنهم الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام (قال) ابن العربى فى شرح الترمذى: خروج آدم من الجنة كان سبباً لوجود الذرية وهذا النسل العظيم، ووجود الرسل والأنبياء والصالحين، ولم يخرج منها طرداً بل لقضاء أوطار ثم يعود إليها.

وأما عن (الصَّعَّةِ) (٤٢٤)، فالمراد بها صوت النفخة الأولى التى بها يموت كل حى إلا رؤساء الملائكة (فقد) قال أنس: قرأ رسول الله ﷺ: **﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾** (٤٢٥) فقيل: مَنْ هؤلاء الذين استثنى الله يا رسول الله؟ قال: (جبرائيل، وميكائيل، وملك الموت، فإذا قبض

(●) الأعراف من الآيات : ٢٠ - ٢٤ .

(٤٢١) هذا التفسير جاء بتصرف وإضافات، فى (مختصر تفسير الطبرى) حول تفسير الآيات ١١ - ٢٤ من سورة الأعراف .

(٤٢٢) كما وصفها الإمام علي كرم الله وجهه .

(٤٢٣) والمراد بخلق آدم هنا، نفخ الروح فيه .. وكان هذا فى يوم الجمعة .. وفى رواية لمسلم والترمذى: وفيه أُدخِلَ الجنةَ، وفيه أُخْرِجَ منها، وهى تدل على أنه لم يُخلق فى الجنة بل خُلِقَ خارجها ثم أُدخِلَ .. الخ .

(٤٢٤) (الصَّعَّةِ) المرة من الصعق، وهو فى الأصل ما يغشى الإنسان من صوت شديد يسمعه، ثم كثر استعماله فى الموت .

(٤٢٥) الزمر: من الآية ٦٨ .

أرواح الخلائق قال الله: يا ملك الموت: من بقى؟ - وهو أعلم - يقول: سبحانك. تباركت ربي يا ذا الجلال والإكرام: بقى جبريل، وميكائيل، وملك الموت. قال: يقول: يا ملك الموت خذ نفس ميكائيل، فيقع كالطود العظيم، ثم يقول: يا ملك الموت من بقى؟ فيقول: سبحانك ربي يا ذا الجلال والإكرام.. بقى جبريل وملك الموت. فيقول: يا ملك الموت مت، فيموت. ثم يقول: يا جبريل من بقى؟ يقول جبريل: سبحانك ربي يا ذا الجلال والإكرام.. بقى جبريل وهو من الله بالمكان الذي هو به، فيقول: يا جبريل لابد من موته.. فيقع ساجداً ويخفق بجناحيه، يقول: سبحانك ربي تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام، أنت الباقي، وجبريل الميت الفانى. ويأخذ روحه فى الخَلْقَة التى خلق منها (أى: أن الله يقبض روح جبريل على الهيئة التى خلقه عليها) فيقع على ميكائيل، وإن فضل خلقه على خلق ميكائيل كفضل الطود (٤٢٦) العظيم على الطرب (٤٢٧) من الطراب) [أخرجه ابن جرير الطبرى] وبهذا: تنتهى الدنيا (وقيل): من لا يُصعق بالنفخة الأولى الشهداء (فعن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: (سألت جبريل عليه الصلاة والسلام عن هذه الآية: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ (•) من الذين لم يشأ الله أن يصعقهم؟ قال: هم الشهداء) [الحديث أخرجه أبو يعلى بسند رجاله ثقات إلا عمرو بن محمد فإنه غير معروف. قاله ابن كثير]

وأما عن (البطشة) فهى المشار إليها فى قول الله تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ * إِنَّهُ هُوَ يُدْعَى وَيُعَدُّ﴾ (٤٢٨) وهى: أخذ الناس بالقهر والغلبة يوم القيامة.

وأما البعثة - بفتح الباء - المرة من البعث، وهو بعث الناس من قبورهم وإحياءهم بعد الموت ليوم الجزاء، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ (••)

(٤٢٦) الطود: أى الجبل العظيم.

(٤٢٧) والطرب: أى الجبل الصغير.

(٤٢٨) البروج: ١٢، ١٣.

(•) الزمر الآية: ٦٨.

(••) الحج: ٦، ٧.

وقد ورد في مزايا يوم الجمعة: أن من مات فيه أو في ليلته لا يُفتن في قبره وإن سُئِلَ (لحديث) عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: (ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة: إلا وقاه الله فتنة القبر).

كذلك من مزايا يوم الجمعة: أن فيها ساعة يُستجاب فيها الدعاء (لقول) أبي هريرة رضي الله عنه: ذَكَرَ النبي ﷺ الجمعة فقال: (فيها ساعة لا يُوافقها عبدٌ مسلم وهو قائم يصلى يسأل الله عز وجل شيئاً إلا أعطاه الله إياه، وأشار بيده يُقلِّهاً).

[أخرجه الشافعي وأحمد والبخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه]

(وقد اختلف في تعيين هذه الساعة، فقيل: (هي آخر ساعة من ساعات النهار).

فعن جابر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (يوم الجمعة، اثنتا عشرة ساعة، منها ساعة لا يوجد عبد مسلم يسأل الله تعالى شيئاً، إلا آتاه إياه، فالتمسوها آخر ساعة بعد العصر).

[رواه النسائي وأبو داود، والحاكم في المستدرک وقال: صحيح على

شرط مسلم وحسن الحافظ إسناده في الفتح]

وقيل: (هي بعد العصر):

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (إن في الجمعة ساعة، لا يوافقها عبد مسلم، يسأل الله عز وجل فيها خيراً، إلا أعطاه إياه، وهي بعد العصر).

[رواه أحمد، قال العراقي: صحيح]

(وقال) أحمد بن حنبل: أكثر الأحاديث في الساعة التي يُرجى إجابة الدعاء، أنها بعد صلاة العصر، ويُرجى بعد زوال الشمس .

(وأما) حديث مسلم وأبي داود عن أبي موسى رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول، في ساعة الجمعة: (هي ما بين أن يجلس الإمام - يعني على المنبر - إلى أن تُقضى الصلاة). فقد أُعلِّ هذا الحديث بالاضطراب والانتقاع .

(ولهذا): فإنه ينبغي الاجتهاد في الدعاء عند آخر ساعة من يوم الجمعة وبعد العصر.

(كما يُستحب) كذلك: أن يُكثر المسلم من الصلاة والسلام على النبي ﷺ في ليلة الجمعة، ويومها (لحديث) أوس بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من أفضل أيامكم يوم الجمعة: فيه خُلِقَ آدم، وفيه قُبِضَ، وفيه النفخة، وفيه الصعقة. فأكثرُوا على من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضةً عليّ) قالوا: يا رسول الله، وكيف تُعرض عليك صلاتنا، وقد أُرمت؟ (٤٢٩) فقال: (إن الله عز وجل حَرَّمَ على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء) [رواه أحمد ومسلم]

(قال) ابن القيم: يُستحبُّ كثرة الصلاة على النبي ﷺ في يوم الجمعة وليلته، لقوله: (أكثرُوا من الصلاة على يوم الجمعة وليلة الجمعة)، ورسول الله ﷺ سيد الأنام، ويوم الجمعة سيد الأيام، فللصلاة عليه في هذا اليوم مزية، ليست لغيره، مع حكمة أخرى، وهي أن كل خير نالته أمته في الدنيا والآخرة، فإنها نالته على يده، فجمع الله لأُمَّته بين خيري الدنيا والآخرة، فأعظم كرامة تحصل لهم، فإنما تحصل يوم الجمعة، فإن فيه بعثهم إلى منازلهم وقصورهم في الجنة، وهو يوم المزيد لهم إذا دخلوا الجنة، وهو عيد لهم في الدنيا، ويوم يسعفهم الله تعالى بطلباتهم وحوائجهم، ولا يرد سائلهم، وهذا كله إنما عرفوه وحصل لهم بسببه، وعلى يده، فمن شكره وحمده، وأداء القليل من حقه ﷺ: أن يُكثرُوا من الصلاة عليه في هذا اليوم وليلته. (٤٣٠) اهـ

فعلى الأخ المسلم، والأخت المسلمة أن يلاحظا كل هذا، ويذكراه على الدوام .. حتى ينتفعا به بتلك الصورة الروحية التي لا شك أننا لو تعمقنا في فهمها لَكُنَّا بهذا من الحريصين كل الحرص على الانتفاع بيوم الجمعة .. وذلك بأن يذهب الرجل مبكرًا إلى المسجد لصلاة الجمعة .

(٤٢٩) أى: بليت .

(٤٣٠) انظر: زاد المعاد ج ١ ص ١٠ المطبعة المصرية .

(فعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من اغتسل يوم الجمعة غُسلَ الجنابة ^(٤٣١) ثم راح ^(٤٣٢) فكانما قرَّبَ بدنة ^(٤٣٣)، ومن راح في الساعة الثانية، فكانما قرَّبَ بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة، فكانما قرَّبَ كبشاً أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة، فكانما قرَّبَ دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة، فكانما قرَّبَ بيضة. فإذا خرج الإمام ^(٤٣٤) حضرت الملائكة يستمعون الذكر).

(وهذا) الثواب سيكون أيضاً من نصيب الأخت المسلمة إذا كان هناك مكان مهيأ لها مع أخواتها المسلمات في المسجد - مع ملاحظة أن يذهبن إلى المسجد محتشمات، غير متطيبات .. وأن يلتزمن بالصمت في المسجد ولاسيما أثناء الخطبة - وإلا فصلاتها في بيتها أفضل .

وعلى الأخ المسلم والأخت المسلمة أن يذكرنا دائماً وأبداً - ولاسيما في يوم الجمعة وليلتها - الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لولا بعثته لَكُنَّا إلى لحظتنا هذه في ضلال مبين . والله ولى التوفيق

(٢١) ما ثواب مَنْ يصوم يومَ عرفة ..

يا رسول الله ؟

عن أبى قتادة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم عرفة؟ قال: **يُكْفَرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ وَالْبَاقِيَةَ** .

[رواه مسلم واللفظ له، وأبو داود والنسائي، وابن ماجه والترمذى، ولفظه: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (صيام يوم عرفة، إنى أحتسبُ على الله أن يُكْفِرَ السَّنَةَ التي بعده، والسَّنَةَ التي قبله)].

(٤٣١) أى: كغسل الجنابة.

(٤٣٢) أى: إلى المسجد في الساعة الأولى .

(٤٣٣) أى: ناقة .

(٤٣٤) أى: اتجه إلى المنبر لإلقاء خطبة الجمعة عندما يحين وقتها .

وروى ابن ماجه أيضاً عن قتادة بن النعمان قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (مَنْ صَامَ يَوْمَ عَرَفَةَ غُفِرَ لَهُ سِنَةٌ أَمَامَهُ (٤٣٥)، وَسِنَةٌ بَعْدَهُ).

قال الشوكاني: (حديث أبي قتادة روى من طريق جماعة من الصحابة منهم زيد بن أرقم، وسهل بن سعد، وقتادة بن النعمان، وابن عمر عند الطبراني، ومن حديث عائشة عند أحمد . (كما يقول) حول المعنى المراد من قول الرسول ﷺ عن يوم عرفه أنه يُكْفَرُ السِنَّةُ التي بعده: (وقد استُشْكِلَ تكفيره السنة الآتية لأن التكفير التغطية ولا تكون إلا لشيء قد وقع، وأجيب بأن المراد يُكْفَرُهُ بعد وقوعه، أو المراد أنه يلطف به، فلا يأتي بذنب فيها بسبب صيامه ذلك اليوم، وقد قيده جماعة من المعتزلة وغيرهم بالصغائر .. (قال) النووي: فإن لم تكن صغائر كُفِّرَ من الكبائر، وإن لم تكن كبائر كان زيادة في رفع الدرجات) .

وعن أبي هريرة روى أن رسول الله ﷺ نهى عن صوم يوم عرفه بعرفة (٤٣٦) [رواه أبو داود والنسائي وابن خزيمة في صحيحه، ورواه الطبراني في الأوسط عن عائشة]

قال الحافظ: اختلفوا في صوم يوم عرفه بعرفة، فقال ابن عمر: لم يصمه النبي ﷺ، ولا أبو بكر ولا عمر، ولا عثمان، وأنا لا أصومه، وكان مالك والثوري: يختاران الفطر (٤٣٧) وكان ابن الزبير وعائشة: يصومان يوم عرفه . (وروى) ذلك عن عثمان بن أبي العاص، وكان إسحاق يميل إلى الصوم.

وقد قال الشوكاني: والحكمة في ذلك - أي: في النهي عن صوم عرفه بعرفة - أنه ربما كان مؤدياً إلى الضعف عن الدعاء والذكر يوم عرفه هنالك والقيام بأعمال الحج، وقيل: الحكمة أنه يوم عيد لأهل الموقف لاجتماعهم فيه (٤٣٨) .

(٤٣٥) يعني: قبله .

(٤٣٦) أي: بالنسبة للحجيج في موقف عرفه .. بسبب الازدحام الشديد والحر الشديد .

(٤٣٧) وهذا هو الصواب الموافق للأحاديث الصحيحة فلا يجوز الذهاب إلى غيره .

(٤٣٨) انظر: ص ١٦٨، وما بعدها (من التهيب والترغيب) ج ٢ .. مع الهامش بتصرف .

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا .. وينفذا المراد منه عملاً بالسنة .. والله ولى التوفيق،،

(٢٢) هل يجوز التداوى بالحرمة . . يا رسول الله ؟

عن طارق بن سُوَيْد الجعفيّ: (أنه سأل النبي ﷺ عن الخمر؟ فنهاه أو كره أن يصنعها، فقال: إنما أصنعها للدواء. فقال: إنه ليس بدواء، ولكنه داء) [رواه مسلم فى صحيحه]

وذكر البخارى فى صحيحه - عن ابن مسعود - (أن الله لم يجعل شفاءكم فيما حُرِّم عليكم) (٤٣٩).

وفى السنن عن أبى هريرة، قال: (نهى رسولُ الله ﷺ عن الدواء الخبيث) (٤٤٠).

وفى السنن: (أنه ﷺ سئل عن الخمر، يُجعلُ فى الدواء؟ فقال: إنها داء، وليست بالدواء) [رواه أبو داود والترمذى]

وفى صحيح مسلم، عن طارق بن سويد الحضرمي، قال: (قلت: يا رسول الله، إن بأرضنا أعناباً نعتصرها، فنشرب منها؟ قال: لا فراجعته، قلت: إننا نستشفى للمريض . قال: إن ذلك ليس بشفاء، ولكنه داء) .

[أخرجه مسلم وأبو داود والترمذى]

وفى سنن النسائي: (أن طبيباً ذكر ضفدعاً فى دواء عند رسول الله ﷺ، فنهاه عن قتلها).

[وأخرجه أيضاً أبو داود وأحمد والحاكم عن عبد الرحمن بن عثمان. وإسناده قوى]

(٤٣٩) هذا الحديث رواه البخارى معلقاً، ووصله الطبرانى بإسناد رجاله رجال الصحيح.

وأخرجه أحمد وابن حبان فى صحيحه والبخارى وأبو يعلى والطبرانى . ورجال أبى يعلى

ثقات. عن أم سلمة ا هـ .

(٤٤٠) أخرجه أبو داود والترمذى.

وَيُذَكِّرُ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (مَنْ تَدَاوَى بِالْخَمْرِ فَلَا شِفَاءَ لِلَّهِ) (٤٤١).

ولكى نفهم المراد من كل تلك الأحاديث الشريفة .. فإنه حسبنا .. أن نقف على ما جاء فى (الطب النبوى) (٤٤٢) حولها .. حيث يقول:

المعالجة بالمحرّمات قبيحة: عقلاً وشرعاً.

أما الشرع، فما ذكرناه من هذه الأحاديث وغيرها .

وأما العقل، فهو أن الله سبحانه إنما حرمه لخبثه، فإنه لم يُحرم على هذه الأمة طيباً عقوبة لها، كما حرّمه على بنى إسرائيل، بقوله: ﴿ فَبَطَلُوا مِنْ آدَمَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّمِهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً ﴾ (٤٤٣). وإنما حرم على هذه الأمة ما حرّم . وتحريمه له حمية لهم، وصيانة عن تناوله، فلا يناسب أن يُطلب به الشفاء من الأسقام والعلل، فإنه وإن أثر فى إزالتها، لكنه يُعقب سقماً أعظم منه فى القلب، بقوة الخبث الذى فيه، فيكون المداوى به قد سعى فى إزالة سقم البدن، بسقم القلب.

وأيضاً: فإن تحريمه يقتضى تجنّبه والبعد عنه بكل طريق، وفى اتخاذه دواءً حصّ على الترغيب فيه وملاسته. وهذا ضدّ مقصود الشارع .

وأيضاً: فإنه داء كما نص عليه صاحب الشريعة، فلا يجوز أن يتخذ دواءً .

وأيضاً: فإنه يكسب الطبيعة والروح صفة الخبث، لأن الطبيعة تنفعل عن كيفية الدواء انفعالاً بيئياً. فإذا كانت كيميته خبيثة: أكسب الطبيعة منه خبثاً، فكيف إذا كان خبيثاً فى ذاته ! . ولهذا حرم الله سبحانه على عباده الأغذية والأشربة والملابس الخبيثة، لما تكتسب النفس: من هيئة الخبث وصفته. وأيضاً: فإن فى إباحة التداوى به، ولاسيماً إذا كانت النفوس تميل إليه، ذريعة إلى تناوله للشهوة واللذة، لا سيما إذا عرفت النفوس أنه نافع لها، مُزيل لأسقامها،

(٤٤١) أخرج أبو نعيم فى الطب نحوه، بل بلفظ: (من تداوى بحرام لم يجعل الله فيه شفاء)

كما فى الفتح الكبير ١٧٧/٣ .

(٤٤٢) ص ١٣٢ وما بعدها .. بتصرف واختصار .

(٤٤٣) النساء: من الآية ١٦٠ .

جالب لشفائها. فهذا أحب شيء إليها. والشارع سدّ الذريعة إلى تناوله بكل ممكن ، ولا ريبَ أن بين سدّ الذريعة إلى تناوله، وفتح الذريعة إلى تناوله - تناقضاً وتعارضاً.

وأيضاً: فإن في هذا الدواء المحرم من الأدوية، ما يزيد على ما يُظنُّ فيه من الشفاء. وليُفرض الكلام في أمّ الخبائث - وهى الخمر - التى ما جعل الله لنا فيها شفاء قط، فإنها شديدة المضرة بالدماع الذى هو مركز العقل عند الأطباء وكثير من الفقهاء والمتكلمين. قال أبقراط فى أثناء كلامه فى الأمراض الحادة: (ضرر الخمرة بالرأس شديد: لأنه يُسرّع الارتفاع إليه، ويرتفع بارتفاعه الأخلاط التى تعلقو فى البدن. وهو لذلك يضر بالذهن) . وقال صاحب الكامل: (إن خاصية الشراب الإضرار بالدماع والعصب).

وأما غيره من الأدوية المحرمة، فنوعان: (أحدهما): تعافه النفس، ولا تنبعث لمساعدته الطبيعة على دفع المرض، كالسموم ولحوم الأفاعى، وغيرها: من المستقذرات. فيبقى كلاً على الطبيعة مُتقللاً بها، فيصير حينئذ داء لا دواءً.

(والثانى): ما لا تعافه النفس، كالشراب الذى تستعمله الحوامل مثلاً.. فهذا ضرره أكثر من نفعه .. والعقل يقضى بتحريم ذلك . فالعقل والفطرة مطابقان للشرع فى ذلك .

ثم بعد ذلك يقول فى (الطب النبوى) مشيراً إلى أهم ما ينبغى علينا أن نلاحظه بعد كل هذا الذى ذكره .. من تنبيهات: (وهنا) سر لطيف فى كون المحرمات لا يُستشفى بها: فإن شرط الشفاء بالدواء، تلقية بالقبول واعتقاد منفعته، وما جعل الله فيه من بركة الشفاء، فإن النافع هو المبارك، وأنفع الأشياء أبركها (٤٤٤) .

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا .. حتى لا يتداويا بالمحرمات .. بل على عكس هذا ينبغى عليهما أن يتداويا بما أحل الله تبارك وتعالى .. والله ولى التوفيق،،

(٤٤٤) ومعلوم أن المحرم لا بركة فيه .. وبالتالي لا شفاء فيه .

(٢٢) هل تجوز رُئيّة المصاب بالعين .. يا رسول الله ؟

عن سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار عن عروة بن عامر، عن عبيد ابن رفاعة الزُّرقى :- (أن أسماء بنت عميس قالت: يا رسول الله، إن بني جعفر تُصيبهم العين^(٤٤٥)، أفأسترقى لهم؟ فقال: نعم، فلو كان شيء يسبق القضاء، لَسَبَقْتَهُ العَيْن) [أخرجه الترمذى، وقال: حديث حسن صحيح]^(٤٤٦).
وفى سنن أبي داود، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: (كان يُؤمرُ العائنُ فيتوضأ، ثم يغتسل منه المَعِينُ) . وفى الصحيحين عن عائشة قالت : (أمرنى النبى صلى الله عليه وسلم ، أو أمر أن نسترقى من العين).

وروى مالك رحمه الله - عن محمد بن أبى أمامة بن سهل، عن أبيه - هذا الحديث، وقال فيه: (إن العين حقٌ، توضأ له، فتوضأ له) وذكر عبد الرزاق - عن مَعْمَرٍ عن ابن طاوس عن أبيه - مرفوعاً: (العين حقٌ، ولو كان شيء سابق القدر: لسبقتَه العين، فإذا استغسل أحدكم فليغتسل). ووصله صحيح .

وقد قال الترمذى توضيحاً لهذا: يؤمر الرجل العائن^(٤٤٧) بقدح، فيُدخل كَفَّهُ فى فيه^(٤٤٨) فيتمضمض، ثم يَمَجُّه فى القدح، ويغسل وجهه فى القدح، ثم يُدخِل يده اليسرى، فيصب على ركبته اليمنى فى القدح، ثم يُدخِل يده اليمنى، فيصب على ركبته اليسرى، ثم يغسل داخله إزاره، ولا يوضع القدح فى الأرض، ثم يصب على رأس الرجل الذى يصيبه العين^(٤٤٩)، من خلفه، صبّة واحدة.

(٤٤٥) أى: يُحسدون.

(٤٤٦) وأخرجه أيضاً النسائى وأحمد .

(٤٤٧) أى: الحاسد .

(٤٤٨) أى: فى فمه .

(٤٤٩) أى: المحسود .

ثم بعد ذلك يقول فى (الطب النبوى) موضحاً أمراً هاماً لابد أن نقف عليه ..
فيقول ما خلاصته:

والعين عينان: عين إنسيّة، وعين جنّيّة. فقد صحَّ عن أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أن النبى
رَأَى فِي بَيْتِهَا جَارِيَةً فِي وَجْهِهَا سَعْفَةً، فَقَالَ: (استرقوا لها، فإن بها
النظرة) (٤٥٠).

قال الحسين بن مسعود الفراء: قوله (سعفة) أى: نظرة. يعنى من الجن.
يقول: بها عين أصابتها من نظر الجن، أنفذ من أسنة الرماح.
ويذكر عن جابر - يرفعه - (إن العين لتدخل الرجل القبر، والجمل
القدر) (٤٥١).

وعن أبى سعيد: (أن النبى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان يتعوذ من الجن، ومن عين
الإنسان) (٤٥٢).

هذا، وإذا كان لنا بعد ذلك أن نقف على بعض الرقى، والتعاويذ النافعة التى
ينبغى علينا كمؤمنين أن نكون من المنتفعين بها .. فإنه حسبنا أن نقرأ ما جاء
فى (الطب النبوى) حيث يقول:
(فمن التعوذات والرقي): الإكثار من قراءة المعوذتين، وفاتحة الكتاب، وآية
الكرسى .

(ومنها): التعوذات النبوية، نحو: أعوذ بكلمات الله التامات، من شر ما خلق .
(ونحو): أعوذ بكلمات الله التامة (٤٥٣)، من كل شيطان (٤٥٤) وهامة (٤٥٥)، ومن

(٤٥٠) أخرجه البخارى ومسلم وإخاكم وأبو نعيم والإسماعيلى فى مستخرجيهما والنظيرانى .

(٤٥١) أخرجه البزار بسند حسن بمعناه .

(٤٥٢) أخرجه الترمذى وحسنه، والنسائى .

(٤٥٣) أى: القرآن، والتوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم وموسى، والأحاديث
القدسية.

(٤٥٤) كل متمرد على طاعة الله تعالى من الجن والإنس فهو شيطان.

(٤٥٥) وهى الثعابين والعقارب.

(ونحو): أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهنَّ برُّ ولا فاجر، ومن شرِّ ما خَلَقَ وَذَرَأَ وَبَرَأَ، ومن شر ما ينزل من السماء، ومن شرِّ ما يَعْرُجُ فيها، ومن شر ما ذرأ في الأرض، ومن شر ما يخرج منها، ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر طوارق الليل والنهار، إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمان.

(ومنها): أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه، ومن شر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون .

(ومنها): اللهم إنى أعوذ بوجهك الكريم وكلماتك التامات، من شر ما أنت آخذ بناصيته ، اللهم أنت تكشف المأثمَ والمغرمَ ، اللهم إنه لا يهزمُ جنُدك ، ولا يُخلفُ وعْدك ، سبحانك وبحمدك.

(ومنها): أعوذ بوجه الله العظيم الذى لا شىء أعظم منه، وبكلمات الله التامات التى لا يُجاوزهنَّ برُّ ولا فاجر، وبأسماء الله الحسنى - ما علمتُ منها وما لم أعلم - من شر ما خلق وَذَرَأَ وَبَرَأَ ، ومن شر كل ذى شرٍّ لا أُطيقُ شرَّه، ومن شر كل ذى شرٍّ أنت آخذ بناصيته، إن ربى على صراط مستقيم .

(ومنها): اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت، عليك توكلت، وأنت ربُّ العرش العظيم، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، لا حول ولا قوة إلا بالله، أعلم أن الله على كل شىء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شىء علماً، وأحصى كل شىء عدداً. اللهم إنى أعوذ بك من شر نفسى، وشر الشيطان وشركه، ومن شر كل دابة أنت آخذٌ بناصيتها، إن ربى على صراط مستقيم. (وإن شاء قال): تَحَصَّنْتُ بالله الذى لا إله إلا هو إلهى وإله كل شىء، واعتصمت بربى ورب كل شىء، وتوكلتُ على الحى الذى لا يموت، واستدْفَعْتُ الشرَّ بلا حول ولا قوة إلا بالله، حسبى الله ونعم الوكيل، وحسبى الربُّ من العباد، حسبى الخالقُ من المخلوق،

(٤٥٦) واللامه: أى الحاسدة . . وقد ورد أن النبى ﷺ كان يُعوذُ بهذه التعويذة الحسن والحسين عليهما رضوان الله، بل وورد أن إبراهيم الخليل عليه السلام كان يُعوذُ بها إسماعيل وإسحاق عليهما السلام.

حسبى الرازقُ من المرزوق، حسبى الله هو حسبى، حسبى الذى بيده ملكوت كل شىء وهو يُجِيرُ ولا يُجَارُ عليه، حسبى الله وكفى سمع الله لمن دعا، وليس وراء الله مرمى، حسبى الله لا إله إلا هو، عليه توكلت، وهو رب العرش العظيم.

ثم بعد ذلك يقول فى (الطب النبوى): وَمَنْ جَرَّبَ هَذِهِ الدَّعَوَاتِ وَالْعُودَ: عرف مقدار منفعتها، وشدة الحاجة إليها، وهى تمنع وصول أثر العائن وتدفعه بعد وصوله، بحسب قوة إيمان قائلها، وقوة نفسه واستعدادها، وقوة توكله وثبات قلبه، فإنها سلاح، والسلاح بضاربه.

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا وينفذهما .. مع الاستعانة بالله تبارك وتعالى .. والله تعالى هو الحافظ والمعين ..

(٢٤) ما هو ثوابُ المرء الذي يدعو لأخيه

بظهر الغيب .. يا رسول الله؟

عن أمِّ الدرداء رضي الله عنها قالت: حدثنى سيدي أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إذا دعا الرجل لأخيه بظهر الغيبِ قالتُ الملائكةُ: ولك بمثل) [رواه مسلم (٤٥٧) وأبو داود واللفظ له]

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ثلاث دعوات مستجابات لا شكَّ فيهنَّ: دعوة الوالد، ودعوة المظلوم، ودعوة المسافر).

[رواه أبو داود والترمذى فى موضعين وحسنه فى أحدهما البزار]

ولفظه قال: (ثلاثُ حقٌّ على الله أن لا يرد لهم دعوة: الصائم حتى يُفطر، والمظلوم حتى ينتصر، والمسافر حتى يرجع).

وعن عقبه بن عامر الجهنى رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: (ثلاثُ مُستجابٌ

(٤٥٧) قال مسلم رحمه الله . . . عن أم الدرداء عن أبى الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك: ولك بمثل).

دَعْوَتُهُم: الوالد، والمسافر، والمظلوم] [رواه الطبرانى فى حديث بإسناد جيد ..
وقال شارح الجامع الصغير: إسناده حسن].

ففى الحديث الأول يشير النبى ﷺ فى قوله: (إذا دعا الرجل) المسلم (لأخيه)
أى المسلم، لأنه ليس المراد أخوه فى النسب .. وهذا المعنى هو المشار إليه فى
قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ
سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ (٤٥٨).

وقوله: (بظهر الغيب) أى: فى حال غيبته عنه وعدم وجوده معه - وكلمة
ظهر زائدة للتأكيد - ومعنى: (قالت الملائكة) أى: الموكِّلون بنحو ذلك (ولك بمثل)
بالتنوين، أى: ولك بمثل ما دعوت به لأخيك - فالتنوين عوض عن المضاف إليه -
وفى بعض الروايات: (قالت الملائكة: آمين ولك بمثل) بزيادة آمين .

قال النووى: وفى هذا فضل الدعاء لأخيه المسلم بظهر الغيب: ما لو دعا
لجماعة من المسلمين حصَّلت هذه الفضيلة، ولو دعا لجملة المسلمين فالظاهر
حصولها أيضاً، وكان بعض السلف إذا أراد أن يدعو لنفسه يدعو لأخيه المسلم
بتلك الدعوة لأنها تُستجاب ويحصل له مثلها اهـ . (وذلك) قد يكون ببركة أحد
هؤلاء الصالحين الذين سيُشملهم هذا الدعاء بظهر الغيب .. ولا حرج على فضل
الله .

وقوله ﷺ فى الحديث الثانى والثالث: (ثلاث دعوات مستجابات، لا شك
فيهن) أو (ثلاثٌ مستجاب (٤٥٩) دعوتهم): (دعوة الوالد) أى: لولده، وذلك لأن
دعاه دليل على برِّه به وإحسانه إليه فيستحق أن تُستجاب دعوته له ..
(وكذلك) كل أصل لفرعه .. فهو يشمل الأب والأم والجد والجدة. (ودعوة
المظلوم) أى: فى دعائه على ظالمه حتى ينتصر ويأخذ حقه منه .. لأنه مضطر
ملهوف فلا يُردُّ دعاؤه .

(٤٥٨) الحشر: من الآية ١٠ .

(٤٥٩) وفى رواية (تُستجاب) بالتاء على أنه فعل مضارع مبنى للمفعول .

(فقد أذن الله) للمظلوم أن يدعو على ظالمه .. قال تعالى: ﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ﴾^(٤٦٠) روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس فى الآية: أى لا يُحبُّ الله أن يدعو أحد على أحد إلا أن يكون مظلوماً فإنه قد أرخص له أن يدعو على مَنْ ظلمه ، وذلك قوله: ﴿ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ﴾ وإن صبر فهو خير له .

وقوله: (ودعوة المسافر) أى: سفرًا مُباحًا^(٤٦١) حتى يرجع إلى بيته .. وذلك لأن السفر بما فيه من مشقةٍ وغربةٍ من عوامل إجابة الدعاء .. وكذلك كما فى الرواية التى بين الثانية والثالثة: (الصائم حتى يُفطر) سواء كان صيامه فرضًا أو نفلًا .. ومعنى حتى يفطر، أى: يتناول إفطاره بالفعل أو يدخل وقت إفطاره بغروب الشمس .. وفى رواية (حين) بدل (حتى) قال بعضهم: هى تصحيف، وإنما ورد ذلك فى حديث آخر .. قال الدميرى: (يُستحب للصائم أن يدعو فى حال صومه بمهمات الآخرة والدنيا له ولمن يحب للمسلمين لهذا الحديث) اهـ .

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا وينفذه .. حتى يفوزا بكل هذا الثواب المشار إليه فى تلك الأحاديث الشريفة .. بل وحتى يكونا إن شاء الله تعالى من الذين لا تُردُّ دعواتهم .. ولا سيِّما بظهر الغيب .. والله ولى التوفيق،،

(٤٦٠) النساء: من الآية ١٤٨ .

(٤٦١) أى: ليس من أجل ارتكاب معصية .

(٢٥) ماذا أقول .. إذا عثرت الدابة التي أركبها ..

يا رسول الله؟

عن أبي المليح عن أبيه رضي الله عنه قال: كنت رديفَ النبي ﷺ (٤٦٢) فعثرت بعيرنا (٤٦٣). فقلت: تعسَ الشيطان. فقال لى النبي ﷺ: (لا تقل تعسَ الشيطان (٤٦٤)، فإنه يعظمُ حتى يصير مثلَ البيت (٤٦٥)، ويقول: بقوتي (٤٦٦)، ولكن قل: بسم الله، فإنه يصغرُ حتى يصير مثلَ الذباب) [رواه النسائي والطبراني والحاكم، وقال: صحيح الإسناد]

وعن أبى تميمة الهجيميِّ عمَّن كان ردِّفَ النبي ﷺ قال: كنت ردِّفه على حمار، فعثرت الحمار، فقلت: تعسَ الشيطان، فقال لى النبي ﷺ: (لا تقل تعسَ الشيطان، فإنك إذا قلت: تعسَ الشيطانُ تعاضمَ فى نفسه، وقال: صرعتُه بقوتي، وإذا قلت: بسم الله تصاغرتُ إليه نفسه حتى يكون أصغرَ من ذباب) [رواه أحمد بإسناد جيد والبيهقى والحاكم]، إلا أنه قال: (وإذا قيل بسم الله خُئسَ حتى يصيرَ مثلَ الذباب). وقال: صحيح الإسناد .

ففى هذين الحديثين الشريفين .. أو هاتين الروايتين المتقاربتين فى اللفظ والمعنى .. يشير النبي ﷺ من خلال توجيهاته .. إلى ضرورة أنه لا ينبغى علينا أن نجعل للشيطان شأنًا أو وزنًا حتى لا يتعاضم فى نفسه.. ويظن أنه قد استطاع بقوته .. أن يفعل شيئًا.. وإنما المفروض أن نقول إذا عثرت الدابة - كما علمنا الرسول ﷺ - (بسم الله) حتى تتصاغر إليه نفسه .. أى: تبدو له كأصغر

(٤٦٢) أى: راكبًا خلفه على البعير.

(٤٦٣) أى: اصطدمت رجله بحجر ونحوه.

(٤٦٤) تعسَ الشيطان، أى: هلك .. ويقال: تعسا له .. أى: ألزمه الله هلاكًا.

(٤٦٥) معنى: أنه يتنفخ عند ذلك ويكبر حتى يصير فى حجم البيت لشعوره بأن كيدَه قد أثر وآلم .

(٤٦٦) أى: غلبت ابن آدم وصرعته بقوتي .

وأحقر ما يكون .. أو حتى تصير أصغر من ذباب^(٤٦٧) .. أو: حتى يخنس .. أى يتأخر وينقبض .. قال سعيد بن جبريل: (إذا ذكر الإنسان ربه خنس الشيطان وولّى، وإذا غفل رجع ووسوس إليه).

وقد يكون هذا هو المعنى المشار إليه فى قوله تبارك وتعالى ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١)﴾ أى: قل يا محمد: أستجير برب الناس ﴿مَلِكِ النَّاسِ (٢)﴾ وهو ملك جميع الخلق، إنسهم وجنهم وغير ذلك ﴿إِلَهَ النَّاسِ (٣)﴾ معبود الناس الذى له العبادة، دون كل شىء سواه ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤)﴾ أى: من شر الشيطان الذى يختفى مرة، ويوسوس مرة ﴿الَّذِي يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥)﴾ أى الشيطان الذى يوسوس فى صدور الناس جنّهم وإنسهم^(٤٦٨).

(وقد) قال فى الصفوة^(٤٦٩): الذى يوسوس فى صدور الناس، هو من شياطين الجن وشياطين الإنس، قال تعالى: ﴿شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾^(٤٧٠) فالآية استعاذة من شر الإنس والجن جميعاً .. أو أجمعين. نسأل الله تعالى أن يعيّننا جميعاً من شر شياطين الإنس والجن، اللهم آمين،،

(٣٦) مَنْ ذَا الَّذِي أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ . يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: (إذا وقف العباد للحساب^(٤٧١) جاء قوم واضعّى سيوفهم على رقابهم تَقَطَّرَ دَمًا^(٤٧٢))، فازدحموا على باب

(٤٦٧) وإنما خص الذباب لمهاته وضعفه واستفادته .. وقد قيل: إن الذباب سُمّي بهذا الاسم، لأنه كلما دُبَّ لاستفادته أب لاستكباره .. أى: رجع .

(٤٦٨) سورة الناس رقم ١١٤ .. والتفسير من مختصر تفسير الطبرى .

(٤٦٩) أى: فى كتاب (صفوة التفاسير) .

(٤٧٠) الأنعام: من الآية ١١٢ .

(٤٧١) أى: بين يدى الله عز وجل .

(٤٧٢) يعنى: على هيئتهم التى كانوا عليها فى الدنيا .

الجنة (٤٧٣)، فقيل: مَنْ هُوَلاء؟ قيل: الشهداء كانوا أحياءً مرزوقين (٤٧٤)، ثم نادى مُناد: لِيَقُمْ مَنْ أجزه على الله فليدخل الجنة، ثم نادى الثانية: ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة. قال: ومن ذا الذى أجره على الله؟ قال: العافون عن الناس، ثم نادى الثالثة: ليقم مَنْ أجره على الله، فليدخل الجنة، فقام كذا وكذا ألقا، فدخلوها بغير حساب) [رواه الطبرانى بإسناد حسن]

قال ابن وردى: من طريق الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا كان يومُ القيامة نادى مُناد يقول: أين العافون عن الناس؟ هَلُمُوا إلى ربكم، وخذُوا أجوركم، وحقُّ على كُلِّ امرئٍ مسلمٍ إذا عفا أن يدخلَ الجنةَ).

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (ما نقصتُ صدقةً من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله عز وجل) [رواه مسلم والترمذى]

ففى هذه الأحاديث الشريفة يشير النبى ﷺ إلى درجة أهل العفو .. الذين هم أجرهم على الله تبارك وتعالى .. بسبب صبرهم على ظلم من ظلمهم .. وحبس أنفسهم عن الانتقام منهم .. وهذا معناه .. أن هُوَلاء قد ازدادوا بسبب هذا العفو ولاسيما عند القدرة (٤٧٥) - عزاً وشرقاً.

وحسب هُوَلاء العافين عن الناس .. أن الله - تبارك وتعالى - تحدّث عنهم ضمن حديثه عن المتقين الذين أعد لهم فى جناته الأجر العظيم .. فقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أى: بادروا وسابقوا إلى ما يُوجب لكم ستر ذنوبكم، والعفو عنها برحمته تعالى ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ أى: وسارعوا إلى جنة عرضها كعرض السموات السبع والأرضين السبع فى السعة

(٤٧٣) أى: ينتظرون الإذن لهم بالدخول.

(٤٧٤) أى: فى الدنيا قبل البعث.

(٤٧٥) أى: على الانتقام من الذين ظلموهم وأساءوا إليهم.

والعظم (٤٧٦) .. ﴿أَعِدْتُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أى: أعدما الله للمتقين، الذين اتقوا الله بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه.

ثم فسّر المتقين بقوله: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ أى: الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله، فى حال الرخاء والسعة، وفى حال الضيق والشدة .. ﴿وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ﴾ أى: والذين يكتمون غيظهم إذا ما أغضبوا ﴿وَالْعَالِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ أى: والصافحين عن أساء إليهم ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٣٤) ﴿•﴾ أى: يجب من كان مُحسناً فى عمله ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ لَمْ يَصِرْوا عَلَيَّ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (٤٧٧) أى: نِعْمَ جزاء العاملين لله جنات النعيم .

نسأل الله سبحانه وتعالى .. أن يجعلنا من العاقين عن الناس الموصوفين فى هذه الآية الكريمة .. بأنهم من المتقين .. الذين نسأله سبحانه وتعالى كذلك أن يجمعنا معهم فى جنات النعيم .. مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .. اللهم آمين،

(٤٧٦) روى أن (هرقل) ملك الروم كتب إلى النبي ﷺ: إنك دعوتنى إلى جنة عرضها السموات والأرض، فأين النار؟ فقال ﷺ: (سبحان الله! أين الليل إذا جاء النهار)؟ رواه أحمد، ومعناه أنه لا يلزم من عدم مشاهدتنا الليل ألا يكون فى مكان آخر، وكذلك النهار يكون حيث شاء الله ... والفرض من الآية تشبيه سعة الجنة بما يدركه الناس كما فى الآية الثانية (وجنة عرضها كعرض السماء والأرض)، وإلا فحقيقة الجنة وسعتها لا يعلمه إلا الله تعالى . (هامش مختصر تفسير الطبرى).

(•) آل عمران آيتا: ١٣٣، ١٣٤ .

(٤٧٧) الآيات ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦ من سورة آل عمران .. والشرح من (مختصر تفسير الطبرى)

ج ١ مع الهامش .. ص ١٢٣ .

(٢٧) أَنهَكَ وَفِينَا الصَّالِحُونَ . . يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

عن زينب بنت جحش رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها فرزعا ^(٤٧٨) يقول:

(لا إله إلا الله، ويل للعرب ^(٤٧٩) من شرّ قد اقترب ^(٤٨٠))، فُتِحَ اليومَ مِن

رَدْمٍ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلَ هَذِهِ، وَحَلَّقَ بَيْنَ أُصْبُعَيْهِ: الإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا،

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَنهَكَ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: نَعَمْ إِذَا كَثُرَ

الْخَبَثُ ^(٤٨١) . [رواه البخاري ومسلم]

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله إن الله أنزل سطوته ^(٤٨٢) بأهل

الأرض، وفيهم الصالحون، فيهلكون بهلاكهم ^(٤٨٣)؟ فقال: (يا عائشة إن الله

عزَّ وجلَّ إذا أنزل سَطْوَتَهُ بِأَهْلِ نَقْمَتِهِ، وَفِيهِمُ الصَّالِحُونَ، فَيَصِيرُونَ

مَعَهُمْ ^(٤٨٤))، ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ). [رواه ابن حبان في صحيحه]

ففي هذين الحديثين الشريفين نستطيع أن نقف من خلال إجابة الرسول صلى الله عليه وسلم

على إشارات هامة .. لا بد أن نفهم المراد منها حتى ننتبه قبل فوات الأوان ..

(أعنى) قبل أن ينزل الهلاك فلا نستطيع الهروب منه - والعياذ بالله .

ففي الحديث الأول: يشير النبي صلى الله عليه وسلم إلى ضرورة أن يكون الإنسان المؤمن

على صلة بالله ولاسيما إذا كان فرزعا .. وذلك بقوله: لا إله إلا الله .. لأن الله

وحده هو المستغاثُ به عند الشدائد أو الكروب .. (ثم) إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد قال

بعد قوله لا إله إلا الله: (ويل للعرب، من شرّ قد اقترب ...) فإنه بهذا وبوحي

من الله تبارك وتعالى يُنذِرُ بِهَلَاكِ وَعَذَابِ قَدِ قَرَّبَ زَمَانَ وَقَوْعِهِ .. أَلَا وَهُوَ هَدْمُ

الردم الذي سيخرجُ منه يأجوج ومأجوج.

(٤٧٨) أى: خائفًا مرعوبًا وهو بالنصب حال من ضمير دخل .

(٤٧٩) يعنى: عذاب وهلاك لهم .

(٤٨٠) يعنى: قرب زمان وقوعه .

(٤٨١) يعنى: الفساد والشر .

(٤٨٢) أى: عذابه ونقمته .

(٤٨٣) الكلام على الاستفهام يعنى أنههلك الصالحون مع المفسدين .

(٤٨٤) يعنى: أن الهلاك يعمهم جميعًا .

(وهذا) الردم هو الذى ورد ذكره فى آخر سورة الكهف . قال الله تعالى :
﴿قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَا جُوجَ وَمَاجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ
تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكْنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا
* آتُونِي زَبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي
أَفْرِغْ عَلَيْهِ قَطْرًا * فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا * قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِن رَّبِّي
فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ (٤٨٥).

وعن عبدالله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: (إن يأجوجَ ومأجوجَ من ذرية آدم، ووراءهم ثلاث أمم، ولن يموت منهم رجلٌ إلا ترك من ذريته ألفاً فصاعداً).

(وأما السدُّ): فهو حاجز حصين بناه ذو القرنين بين الصَّدَفَيْنِ، وهما جبلان عاليتان جداً أملسان، الفتحة التى بينهما مائة فرسخ (٤٨٦)، والفرسخ يُسار فى ساعة ونصف، فتكون مُدَّة سيرها مائة وخمسين ساعة (أى: اثنى عشر يوماً ونصف يوم) وبناه بقطع من الحديد كالصخر (٤٨٧)، وهى المرادة بقوله تعالى: ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ وجعل بين القطع المذكورة الحطب والفحم، ووضع المنافع والنار حول ذلك وقال: انفخوا، فنفخوا حتى صار الحديد ناراً، ثم دعا بالنحاس المذاب فأفرغه على الحديد، فدخل بين قطعه فصار شيئاً واحداً، فما استطاع يأجوج ومأجوج أن يَظْهَرُوهُ، أى: يصعدوه لارتفاعه وملاسته، وقد كان ارتفاعه مائتى ذراع ﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ أى: خرقاً لصلابته لعظم سُمكه، وهم يعملون على خرقه دائماً فلم يقدرُوا.

(٤٨٥) الكهف: ٩٤ - ٩٨، (وخرجاً) أى أجراً عظيماً. (وردماً) أى: سدّاً. و (زُبُر) جمع زبرة أى قطعة (وساوى) أى سَوَّى بين طرفى الجبلين . و (القطر) أى النحاس المذاب.
(٤٨٦) الفرسخ ٣ أميال، والميل ٤ آلاف ذراع فلكى، وهو $\frac{3}{8}$ ٤٦ سنتياً، فيكون الميل ١٨٥٥ متراً، والفرسخ ٥٦٥٥ متراً. والمائة فرسخ ٥٦٥٥٠ متراً، أى $\frac{1}{10}$ ٥٥٦ كيلو متراً.
(٤٨٧) قال فى البداية والنهاية: وقد ذكر أن الخليفة النواتق بعث رسلاً ليكشفوا له عن خيره وكيف بُنى ؟ فلما رجعوا أخبروه أنه بناء محكم شاهق متين جداً، وأنه فى زاوية الأرض الشرقية الشمالية. انظر ص ١١١ ج ٢.

(روى) أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: (إن يأجوج ومأجوج يحفرون كل يوم حتى إذا كادوا يَرَوْنَ شعاع الشمس، قال الذى عليهم - أى رئيسهم -: ارجعوا فَسَنَحْفَرُهُ غداً، فَيُعِيدُهُ الله أشدَّ ما كان، حتى إذا بَلَغَتْ مُدَّتَهُمْ وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا، حتى إذا كادوا يَرَوْنَ شعاع الشمس، قال الذى عليهم: ارجعوا فَسَنَحْفَرُونَهُ غداً إن شاء الله تعالى، واستأنوا، فيعودون إليه وهو بهيئته حين تركوه، فيحفرونه ويخرجون على الناس، فينشقون الماء^(٤٨٨))، وتتحصن الناس منهم فى حصونهم، فيرمون بسهامهم إلى السماء فيرجع عليها الدم، فيقولون: قَهْرْنَا أهل الأرض وعلونا أهل السماء. فبيعت الله نَعْفًا فى أقبائهم^(٤٨٩) فيقتلهم بها. والذى نفسى بيده إن دواب الأرض لَتَسْمَنُ وتشكر شكرًا^(٤٩٠) من لحومهم) [أخرجه أحمد وابن ماجه والحاكم وصححه

وقال البوصيرى فى الزوائد: حديث صحيح رجاله ثقات]

(وهذا) من علامات الساعة الكبرى: فقد روى حذيفة بن أسيد أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (لن تقوم الساعة حتى يكون عشرُ آيات: طلوعُ الشمس من مغربها، وخروجُ الدابة، وخروجُ يأجوج ومأجوج، والدجال، وعيسى بن مريم، والدخان، وثلاثة خسوف: حَسَفٌ بالمغرب، وحَسَفٌ بالمشرق، وحَسَفٌ بجزيرة العرب. وآخر ذلك نار تخرج من اليمن من قَعْرِ عَدَنَ^(٤٩١) تَسُوقُ الناسَ إلى المحشر).

[أخرجه السبعة^(٤٩٢) إلا البخارى]

(٤٨٨) (فينشقون الماء) أى: يشربونه - من نشفه الثوب ينشفه من باب تعب -: شربه، ونشف الماء من باب ضرب: نزحه. انظر هامش (الدين الخالص) ج ١ ص ٨٦.

(٤٨٩) (النَعْفُ) بفتح نون: دود فى أنوف الإبل والغنم. (والأقباء) جمع قفا مقصوراً: مؤخر العنق.

(٤٩٠) (سمن) يسمن من باب تعب، وفى لغة من باب قرب: إذا كثر لحمه. و (تشكر) بفتح الكاف، أى: تسمن وتمتلئ شحمًا، وشكرًا بفتح نون.

(٤٩١) (وقعر عدن) أى: أقصى أرضها. انظر تحفة الأحوذى ص ٢١٤ ج ٣.

(٤٩٢) أى: أخرجه أحمد، ومسلم، وأبو داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه.

(وقد) استدل بعض العلماء بهذا الحديث الأول - الذى هو موضوع الفتوى - على أن السد قد هُدم فعلاً، وخرج منه يأجوج ومأجوج، ويُفسرون ذلك بغزو التتار للبلاد الإسلامية واجتياحهم لمالكها حتى استولوا على قسبة الخلافة ببغداد، وأسقطوا الخلافة الإسلامية العباسية سنة ٦٥٦ وأحالوا عامر هذه البلاد خراباً يباباً .. والله أعلم.

وعلى افتراض هذا .. فإن ما كان من أمر التتار وغيرهم فى عصرنا الحديث .. ما كان إلا بسبب انصراف المسلمين عن أهم تعاليم دينهم الحنيف .. وما كان إلا بسبب الفساد الذى ذاع وشاع حتى ملأ البقاع .. قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ (٤٩٣)، وقال: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾ (٤٩٤) ولهذا كان لا بد لى يكون هناك أمرٌ وأمان بيننا .. أن نُظهِر بلادنا وبيوتنا .. من هذا الخبث المشار إليه فى ختام الحديث .. حتى لا تنزل علينا سطوة الله - أى: عذابه ونقمته - فنهلك وإن كنا صالحين بهلاك هؤلاء المفسدين - كما أشار النبى ﷺ فى الحديث الثانى .. وإن كنا إن شاء الله تعالى سنُبعث على نياتنا ..

ولابد لى ننجو جميعاً من هذا الهلاك المشار إليه فى الحديثين: أن نضرب على أيدى العابثين .. حتى لا نكون من الذين سيغرقون معهم فى سفينة الحياة - والعياذ بالله - .

(فعن) النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: (مَثَلُ الْقَائِمِ فِي حُدُودِ اللَّهِ (٤٩٥)، وَالْوَاقِعِ فِيهَا (٤٩٦)، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا (٤٩٧) عَلَى سَفِينَةٍ، فَصَارَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلُهَا (٤٩٨)، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا

(٤٩٣) الشورى: ٣٠ .

(٤٩٤) هود: ١١٧ .

(٤٩٥) أى: الخافض لها والمتقيم عليها .

(٤٩٦) أى: المتعدى عليها والمنتكح لحرمتها .

(٤٩٧) أى: اقترعوا على الأماكن التى ينزلون فيها من السفينة .

(٤٩٨) أى: صار بعضهم فى الطابق الأعلى من السفينة وبعضهم فى الطابق الأسفل .

من الماء مَرُّوا على مَنْ فوقهم^(٤٩٩)، فقالوا: لو أننا خرقتنا في نصيبنا خُرْقًا، ولم نُؤذ مَنْ فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا، ونَجُوا جميعًا).

[رواه البخارى والترمذى]
أسأل الله تبارك وتعالى أن لا يؤاخذنا بما فعل السفهاء منا .. وأن يقبل توبتنا حتى نكون أهلًا لرحمته .. اللهم آمين،،

(٢٨) مَنْ هُمُ الَّذِينَ سَتَكُونُ أَعْمَالُهُمْ هَبَاءً مَنثورًا

يوم القيامة .. يا رسول الله؟

عن ثوبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (لأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَعْمَالٍ^(٥٠٠) أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ^(٥٠١) بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ هَبَاءً مَنثورًا)^(٥٠٢). قال ثوبان: يا رسول الله صفهم لنا، جلهم لنا^(٥٠٣)، لا نكون منهم ونحن لا نعلم؟ قال: (أَمَّا إِنْهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمَنْ جَلِدْتُمْ،^(٥٠٤) وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ^(٥٠٥)، وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا)^(٥٠٦)

[رواه ابن ماجه ورواه ثقات]
وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَغَارُ^(٥٠٧)، وَغَيْرَةُ اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ)^(٥٠٨) [رواه البخارى ومسلم]

(٤٩٩) لأنهم لا يستطيعون أن يصلوا إلى الماء من مكانهم .

(٥٠٠) يعنى : صالحه من صلاة وصيام وصدقه ونحوها .

(٥٠١) يعنى : أنها تساويها فى القل .

(٥٠٢) أى : يُحِبُّهَا وَلَا يُشْبِهُهُمْ عَلَيْهَا .

(٥٠٣) أى : أظهرهم لنا .

(٥٠٤) أى : من عشيرتكم .. أو من أمثالكم .

(٥٠٥) يعنى : أنهم يقومون الليل كما تقومون .

(٥٠٦) أى : انفردوا عن الناس بحيث لا يراهم أحد .

(٥٠٧) وفى الصحيح : (أتعجبون من غيرة سعد؟ لانا غير منه والله غير منى) .

(٥٠٨) يعنى : أن يفعل ما نهاه الله عز وجل عنه من الفواحش والمنكرات .

ففى هذين الحديثين الشريفين يشير النبي ﷺ إلى ضرورة أن تكون هناك مراقبة لله تبارك وتعالى فى الجلوة والخلوة .. (وذلك) بمعنى أنه إذا كان العبد قد استطاع وبتوفيق من الله تبارك وتعالى أن يتقرب إلى الله تبارك وتعالى بكثير من الأعمال الصالحة .. كأمثال جبال تهامة .. فإنه ينبغي عليه أن يحافظ على ثمرات هذه الأعمال الصالحة .. حتى لا يجعلها الله تبارك وتعالى (هباءً منثوراً) بمعنى أن يحبطها ولا يثيبه عليها .. (وهذا) معناه أن الشيطان قد تمكن منه .. واستطاع أن يلعب به ولاسيما فى (الخلوة) التى زينَ له فيها انتهاك محارم الله .. حتى أوقعه فى شباكها بتلك الصورة التى تؤكد انتصار الشيطان عليه.

(وكان) من الواجب عليه أن يلاحظ هذا حتى لا يكون فريسة لهذا الشيطان الرجيم الذى حذرنا الله تبارك وتعالى منه فقال: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِمَّ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٥٠٩) ، وقال: ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُّكُمْ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ ﴾ (٥١٠) وقال: ﴿ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (٥١١) .

(ولهذا) كان لا بد أن يُجاهد المؤمن الصادق هذا الشيطان .. مع الاستعانة بالله عليه .. فهو القائل سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٥١٢) .

ولا بد أن يلاحظ الأخ المؤمن - كذلك - ما جاء فى الحديث الثانى .. وهو أن الله تعالى يَغَارُ .. وأن غيرَةَ الله تعالى أن يأتى المؤمن ما حَرَّمَ الله عليه .. حتى لا يغضب الله عليه .. (وليكن) فى أغلب أحيانه ذاكراً لله تبارك وتعالى حتى

. (٥٠٩) الأعراف: ٢٧ .

. (٥١٠) البقرة: من الآية ٢٦٨ .

. (٥١١) فاطر: من الآية ٦ .

. (٥١٢) العنكبوت: ٦٩ .

لا يقترب الشيطان منه .. وحتى يكون فى حصانة من كيده .. لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (٥١٣) .
أسأل الله تبارك وتعالى أن يحفظنا من شياطين الإنس والجن .. اللهم آمين،،

(٢٩) من هذا الخاسر الذى أقسمت ثلاث مرات بأنه لا يؤمن .. يا رسول الله؟

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن) قيل: من يا رسول الله؟ قال: (الذى لا يأمن جاره بوائقه) [رواه أحمد والبخارى ومسلم]
وزاد أحمد: قالوا: يا رسول الله، وما بوائقه؟ قال: (شره).

وفى رواية لمسلم: (لا يدخل الجنة من لا يؤمن جاره بوائقه).

وعن أبى شريح الكعبى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن) قيل: يا رسول الله لقد خاب وخسر، من هذا؟ قال: (من لا يأمن جاره بوائقه) قالوا: وما بوائقه؟ قال: (شره) [رواه البخارى]
ففى كل هذه الأحاديث الشريفة - بالإضافة إلى غيرها - يشير النبى ﷺ إلى جرم الإساءة إلى الجار .. حتى ولو كان غير مسلم .. كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى:

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ أى: أفردوا الله بالعبادة والطاعة، ولا تجعلوا له فى الربوبية شريكاً ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ أى: وأمركم بلزوم البر والإحسان إلى الوالدين، ﴿وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ﴾ أى: واستوصوا بالقریب، والیتیم، والمسکین خیرًا، وتَعَطَّفُوا عليهم، والزموا وصیتی فيهم

﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى﴾ أى: والجار الذى بينك وبينه قرابة (٥١٤) ﴿وَالْجَارِ الْجُنْبِ﴾
 أى: والجار البعيد الذى ليس بينك وبينه قرابة (٥١٥)، مسلماً كان أو مشركاً ..
 ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾ أى: وبالرفيق فى السفر، والزوجة المصاحبة، والصديق
 المرافق ﴿وَأَهْلِ السَّبِيلِ﴾ أى: والمسافر المنقطع فى سفره ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾
 أى: من العبيد والأرقاء ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ (٥١٦) أى: لا يحب
 المتكبرين المفتخرين على عباد الله .

وعن مُجاهد أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ذُبِحَتْ لَهُ شاةٌ فى أهله، فلما جاء قال:
 أهديتم لجارنا اليهودي؟ أهديتم لجارنا اليهودي؟ (٥١٧) سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يقول: (ما زال جبريلُ يُوصيني بالجارِ حتى ظننتُ أنه سيورثه) [رواه أبو
 داود والترمذى واللفظ له . وقال: حديث حسن غريب . (قال) الحافظ: وقد
 روى هذا المتن من طرق كثيرة، وعن جماعة من الصحابة رضى الله عنهم]

وعن ابن عمر وعائشة رضي الله عنهما قالوا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ما زال جبريلُ
 عليه السلام يُوصيني بالجارِ حتى ظننتُ أنه سيورثه)

[رواه البخارى ومسلم والترمذى، ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث عائشة
 وحدها، وابن ماجه أيضاً وابن حبان فى صحيحه من حديث أبى هريرة]

(فالمعنى) هو أنه سيأمر بتوريث الجار من جاره .. واختُلف فى المراد بهذا
 التوريث . (فقيل): يجعل له مشاركة فى المال بفرض سهم يُعطاه مع الأقارب ..
 (وقيل): المراد أن يُنزله منزلة من يرثُ فى البر والصلة . (والأول) أظهر،
 (ويؤيده) ما أخرجه البخارى من حديث جابر: (حتى ظننتُ أنه يجعل له
 ميراثاً).

(٥١٤) فهذا له ثلاثة حقوق: حق الإسلام، وحق القرابة، وحق الجوار .

(٥١٥) فإذا كان مسلماً غير قريب .. فله حقان: حق الإسلام وحق الجوار .. وأما غير المسلم .. فله
 حق واحد، وهو حق الجوار .

(٥١٦) سورة النساء: الآية ٣٦، والتفسير من (مختصر تفسير الطبرى).

(٥١٧) يعنى: أهديتم والكلام على الاستفهام .

وقال ابن أبي جمرة: (الميراث على قسمين: حسى ومعنوى .. فالحسّى: هو: المراد هنا، والمعنوى: ميراث العلم، ويمكن أن يُلحظ هنا أيضاً .. فإن من حق الجار على جاره أن يُعلّمه ما يحتاج إليه ..) أى: من العلم النافع. (هذا): وإذا كان الهدف من وراء التذكير أو التحذير هو الترهيب من الإساءة إلى الجار .. فإنه حسبنا أن نقرأ الأحاديث الشريفة الآتية:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر: فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر: فليُكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر: فليقل خيراً أو ليسكت) [رواه البخارى ومسلم]. (وفى رواية) لمسلم: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر: فليُحسن إلى جاره) .

ومعنى: (فلا يؤذ جاره): أى: بأى نوع من أنواع الأذى، كأن يسد عليه الريح، أو يلقي قمامته بجوار بابه، أو يؤذيه بقتار قدره ^(٥١٨)، أو يطلع على عوراته.

وعن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: (ما تقولون فى الزنا؟) قالوا: حرام حرّمه الله ورسوله فهو حرام إلى يوم القيامة، قال: فقال رسول الله ﷺ: (لأن يزنى الرجلُ بعشرِ نسوةٍ أيسرُ عليه من أن يزنى بامرأة جاره) . قال: (ما تقولون فى السرقة؟) قالوا: حرّمها الله ورسوله فهي حرام . قال: (لأن يسرق الرجلُ من عشرة أبيات أيسرُ عليه من أن يسرقَ من جاره) [رواه أحمد، واللفظ له، ورواه ثقات والطبرانى فى الكبير والأوسط] وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (والذى نفسى بيده، لا يؤمنُ عبداً حتى يُحبَّ لجاره، أو قال: لأخيه ^(٥١٩) ما يحب لنفسه). [رواه مسلم]

(٥١٨) القتار بضم القاف: الدخان من المطبوخ ورائحة البخور واللحم والشواء والعظم المحروق.
(٥١٩) الكلام على الشك: هل قال لجاره أو قال لأخيه؟ ولكن الرواية المشهورة لهذا الحديث بلفظ: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) بالجزم بأخيه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول: (اللهم إني أعودُ بك من جارِ السُّوءِ في دارِ المُقَامَةِ) ^(٥٢٠)، فَإِنَّ جَارَ الْبَادِيَةِ يَتَحَوَّلُ ^(٥٢١).

[رواه ابن حبان في صحيحه]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله، إن فلانة تُكثِرُ من صلاتها وصدقتها وصيامها غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها؟ قال: (هي في النار). قال: يا رسول الله، فإن فلانة يُذكر من قلة صيامها وصلاتها، وأنها تتصدق بالأثوار من الأقط ^(٥٢٢)، ولا تؤذي جيرانها؟ قال: (هي في الجنة). [رواه أحمد والبزار وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال: صحيح الإسناد]

ورواه أبو بكر بن أبي شيبة بإسناد صحيح أيضاً، ولفظه وهو لفظ بعضهم: قالوا: يا رسول الله فلانة تصوم النهار، وتقوم الليل، وتؤذي جيرانها. قال (هي في النار) قالوا: يا رسول الله فلانة تُصَلِّي المكتوبات، وتصدّق بالأثوار من الأقط ولا تؤذي جيرانها؟ قال: (هي في الجنة).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ما آمن بي ^(٥٢٣) مَنْ بَاتَ شِبَعَانًا وَجَارَهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ ^(٥٢٤) وَهُوَ يَعْلَمُ ^(٥٢٥)).

[رواه الطبراني والبزار وإسناده حسن]

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا .. حتى لا يكونا من الذين يؤذون جيرانهم .. وحسبهما أن يذكرنا دائماً وأبداً أنه لن يكمل إيمانها إلا بالإحسان إلى جيرانها .. كما أشارت الأحاديث الأولى التي وقفا عليها .. مع ملاحظة كذلك أنه إذا كان النبي ﷺ قد كرر الجملة ثلاثاً مع القسم

(٥٢٠) أي: دار الإقامة الدائمة المستمرة .

(٥٢١) لأنهم يسكنون الخيام ويتنقلون من مكان إلى آخر طلباً للماء والكلا .

(٥٢٢) الأقط بفتح الهمزة وكسر القاف وبضمها أيضاً وبكسر الهمزة والقاف معاً وبفتحها: هو شيء يُتخذ

من مخيض اللبن الغنمي . والأثوار: بالثلثة: جمع ثور: وهي قطعة من الأقط .

(٥٢٣) أي: ما صدّق بما جئت به التصديق الكامل الذي يحمل على العمل بموجبه .

(٥٢٤) يعني: قريباً منه لاصقة داره بداره .

(٥٢٥) أي: والحال أنه يعلم بجوعه .

فى كل مرة .. فىن هذا يفيد المبالغة فى نفى الإيمان عن هذا الذى لا يأمن جاره بوائقه.. وأن المراد بالإيمان المشار إليه فى الأحاديث.. هو الإيمان المطلق الذى وعد الله أهله بالجنة .. التى نسال الله تعالى أن يجعلنا جميعاً من أهلها. اللهم آمين،،

(٤٠) أى الذنب أعظم عند الله .. يا رسول الله؟

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: أى الذنب أعظم عند الله؟ (٥٢٦) قال: (أن تجعل لله نداً) (٥٢٧)، وهو خَلَقَكَ (٥٢٨)، قلت: إن ذلك لعظيم، ثم أى؟ قال: (أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك) (٥٢٩)، قلت: ثم أى؟ قال: (أن تزنى حليلة جارك) (٥٣٠). [رواه البخارى ومسلم، ورواه الترمذى والنسائى]. وفى رواية لهما: وتلا هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخَلَدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ (٥٣١)

ففى هذا الحديث الشريف الصحيح: يُجيبُ النبى صلى الله عليه وسلم على سؤال من أهم الأسئلة التى ينبغى علينا أن نقف على أبعاد الإجابة عليها .. ولاسيما إذا كانت الإجابة هذه تتعلق بالعقيدة .. أو بقتل الولد .. أو بالزنا بحليلة الجار .. والعياذ بالله من كل هذا.

(٥٢٦) أى: أشد إثمًا وعقوبة .

(٥٢٧) أى: مساويًا فى استحقاق العبادة.

(٥٢٨) جملة حالية .

(٥٢٩) أى: خوفًا من أن يُشاركك فى طعامك .

(٥٣٠) (الحليلة) أى زوجة الجار .. أى أن تزنى بها - والعياذ بالله - والمزناة .. معناها المفاعلة من

الجانيين .

(٥٣١) الفرقان: ٦٨ ، ٦٩ .

(فمعنى) (أن تجعل لله نداً)، أى: تتخذ له سبحانه وتعالى شريكاً فى عبادتك له .. مع أنه (لا إله إلا الله) أى: لا معبود بحق إلا الله .. أى: لا خالق إلا الله، ولا رازق إلا الله، ولا نافع إلا الله، ولا ضار إلا الله، ولا مُحِبٌّ إلا الله، ولا مُمِيتَ إلا الله .. وهو سبحانه: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ * وَالَّذِي قَلَّرَ فَهَدَىٰ * وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ * فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ﴾ (٥٣٢).

(ولهذا) كان الشرك بالله تعالى، من الكبائر، بل هو أكبر الكبائر:

فعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (الكبائر: الإشراف بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس).

[رواه البخارى]

وعن أبى بكره رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ألا أُنبئُكم بأكبر الكبائر .. ثلاثاً)؟ قلنا: بلى يا رسول الله . قال: (الإشراف بالله، وعقوق الوالدين) وكان منكناً فجلس، فقال: (ألا وقول الزور، وشهادة الزور) فما زال يُكرِّرها حتى قلنا: ليته سكت.

(وأما) عن المعنى المراد من قول الرسول ﷺ: (أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك)، فهو المشار إليه فى قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ﴾ (٥٣٣) **نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ** (٥٣٤)، أى: ولا تقتلوا أولادكم بالوَادِ خشية الفقر، فإن الله رازقكم وإياهم .

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ أى: خوف الفاقة والفقر ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ أى: فإن رزقكم ورزق أولادكم على الله تعالى ﴿إِنْ قَتَلْتُمْ كَانَ خَطَاكُمْ كَبِيرًا﴾ (٥٣٥): أى: إن قتلهم إثم وخطيئة عظيمة .

(وقد يكون) المراد من الواد هو (تحديد النسل) بهذا المعنى المشاع، وهو أنه

(٥٣٢) سورة الأعلى: ٢ - ٥ .

(٥٣٣) الإملاق، أى الفقر .

(٥٣٤) الأنعام من الآية ١٥١ .

(٥٣٥) الإسراء الآية ٣١ .

لا يُريد أكثر من ولدين أو ثلاثة على الأكثر .. (وهذا) (٥٣٦) يتنافى مع المشار إليه فى قول الله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنًا وَحَفْدةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ (٥٣٧)، وجاء فى وصايا الرسول ﷺ: (تَنَاصَحُوا تَنَاسَلُوا ، فَإِنِّي مُبَاهٍ بِكُمْ الأُمَّمَ يَوْمَ القِيَامَةِ)، (وسوداء ولود خير من حَسَنَاءَ عَقِيمٍ)، و (مَنْ تَرَكَ الزَّوْجَ مَخَافَةَ العِيَالِ فَلَيْسَ مِنَّا).

ثم بعد ذلك يقول الإمام الشيخ محمود شلتوت عليه رحمة الله، فى كتابه (الفتاوى):

وقد كان أهل الجاهلية يقتلون أبناءهم مخافة الفقر فنزل قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ (●) وفى آية أخرى: ﴿ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ (●●) . ثم يقول فى الفتاوى: وإذن فتحديد النسل بهذا المعنى المزمع للجميع خروج عن هذه الوصايا، وسير فى جوِّ الذين حذرهم الله من قتل الأولاد خشية الإملاق، وأعتقد أن الذين يدعون إلى تحديد النسل لا يُريدونه بهذا المعنى، فإنكاره إذن محل اتفاق، ويجب أن يكون محل اتفاق بين جميع الباحثين.

ثم يقول، تحت عنوان: تنظيم النسل للحالات الخاصة: أما تحديد النسل بمعنى تنظيمه بالنسبة للسيدات اللاتى يُسرِعُ إليهنَّ الحمل، وبالنسبة لذوى الأمراض المتنقلة، وبالنسبة للأفراد القلائل الذين تضعف أعصابهم عن مواجهة المسؤوليات الكثيرة، ولا يجدون من حكوماتهم أو الموسرين من أمَّتهم ما يُقوِّمهم على احتمال هذه المسؤوليات . إن تنظيم النسل بشيء من هذا - وهو تنظيم فردى لا يتعدى مجاله - شأن علاجى تُدفع به أضرار مُحَقَّقَةٌ، ويكون به النسل القوى الصالح، والتنظيم بهذا المعنى لا يُجافى الطبيعة ولا يَأْبَاهُ الوعى القومى، ولا تمنعه الشريعة إن لم تكن تطلبه وتحثُّ عليه.

(٥٣٦) كما جاء فى كتاب (الفتاوى) للإمام الشيخ محمود شلتوت ص ٢٩٦ وما بعدها بتصرف .

(٥٣٧) الآية ٧٢ من سورة النحل .

(●) الإسراء آية: ٣١ .

(●●) الأنعام آية: ١٥١ .

(فقد) حدد القرآن مدة الرضاع بحولين كاملين، وحذّر الرسول ﷺ أن يرضع الطفل من لبن الحامل، وهذا يقضى إباحة العمل على وقف الحمل مدة الرضاع. وإذا كانت الشريعة تتطلب كثرة قوية لا هزيلة، فهي تعمل على صيانة النسل من الضعف والهزال، وتعمل على دفع الضرر الذي يلحق الإنسان في حياته. ومن قواعدها: (الضرر مدفوع بقدر الإمكان) .

(ومن) هنا فقد قرر العلماء إباحة منع الحمل مؤقتًا بين زوجين أو دائمًا إن كان بهما أو بأحدهما داء من شأنه أن ينتقل في الذرية والأحفاد ... اهـ .

وأما عن العنصر الثالث، وهو: (أن تزاني حليلة جارك): فقد ورد الترهيب منه . فعن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: (ما تقولون في الزنا؟ قالوا: حرام حرّمه الله عز وجلّ ورسوله فهو حرام إلى يوم القيامة. فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: لأن يزني الرجل بعشر نساء أيسرُ عليه من أن يزني بامرأة جاره . فما تقولون في السرقة؟ قالوا: حرام حرّمها الله ورسوله. قال: لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر عليه من أن يسرق من بيت جاره). [رواه أحمد ورواته ثقات، والطبراني في الكبير والأوسط] هذا بالإضافة إلى جريمة الزنا .. التي سيضاعفُ العذاب بسببها .. كما جاء في نص الآية الكريمة الوارد في رواية الترمذي والنسائي .. في ختام الحديث الأول ...

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا.. وأن يسألا الله تبارك وتعالى .. أن يعافينا جميعًا من كل تلك الذنوب العظيمة .. بالإضافة إلى غيرها من الذنوب .. اللهم آمين،،